معارضات البردة في
الشعر اليمني المعاصر
(نقد وموازنة)

د. عبد القوي الحصيني

كلية التربية والعلوم والآداب بالتربة

قسم اللغة العربية

جامعة تعز

التمهيد

تعد قصائد الأعشى والنابغة الجعدي وكعب بن زهير في مدح الرسول ﷺ هي البدايات الأولى لشعر المديح النبوي.(١) ولا نستطيع إغفال شعر حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك. (٢) إلا أن شعرهم كان يتجه للدفاع عن النبي الجديد والدين الجديد أكثر ما يتجه إلى فن المديح النبوي.

---

(١) الأعشى ميمون بن قيس ومطلع قصيدته :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

وقصيدة النابغة التي يقول فيها :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نيرا

(2) أما قصيدة كعب المقصودة : " فبانت سعاد "

(انظر المدائح النبوية في العصر الحاضر وأثرها في الأدب : محمد حمودة عبد الرحمن – ص ١٨ وما بعدها ، رسالة ماجستير ١٩٦٧م –كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر)

انظر : المدائح النبوية : محمود علي مكي – ص ١٤ وما بعدها ، مكتبة لبنان لونجمان ١٩٩١م .

وبعد وفاة الرسول ﷺ وبالتحديد في العصر الأموي وما بعده اتخذ المديح النبوي مساراً جديداً ظهر في التشيع لآل البيت. [٣] ولم يعد شعراء المديح إلى القصائد الصافية المسبوكة في المدح النبوي إلا في مراحل متأخرة.[٤]

غير أن شاعراً جديداً لمع اسمه في سماء القرن السابع الهجري، أصل لقصيدة المديح النبوي وسار بها في طريق جديد، ألهب بها قرائح الشعراء والمادحين على مر العصور التالية له، ذلك هو البوصيري.[٥]

شكلت مدائح البوصيري النبوية محطة انطلاق جديدة لشعراء المدح النبوي وخاصة " البردة " " النموذج الأمثل لنبويات الشعر العربي " [٦] ، والتي ظلت فناً يقتدي به الشعراء في فهمهم لقصائد المديح النبوي كما أضافت قيماً موضوعية وفنية إلى شعر المديح، [٧] وظهر أثرها لدى الشعراء : معارضة، وتضميناً، وتشطيراً وتخميساً.. الخ. [٨] كما لا يخفى أثرها في ازدهار البديعيات. [٩]

---

(3) وبرز شعراء في هذا المجال منهم : الكميت الأسدي ، والفرزدق ، والسيد الحميري ، ودعبل الخزاعي .

(انظر : الصورة الفنية في قصيدة المديح النبوي : مصطفى عبد العاطي غنيمي عبد الرحيم – ص ٧٠ وما بعدها ، رسالة دكتوراه عام ٢٠٠٢م كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر)

(4) في القرن الخامس الهجري(انظر قصيدة " بانت سعاد " لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي : د . السيد ابراهيم محمد – ص ٢٦٤ ، المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق ، ط (١٤٠٦ / ١٩٨٦)

(5) انظر : شعر البوصيري دراسة فنية : قرشي عباس دندراوي ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ١٩٩٠م .

(6) شعر البوصيري دراسة فنية – ص ٣٩ .

(7) انظر : الصورة الفنية في قصيدة المديح النبوي – ص ٥٣ ، ٥٤

(8) انظر: بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث : جابر عبد الرحمن سالم يحي. رسالة دكتوراه ١٩٧٨ م – جامعة الأزهر

لـم تقتصـر معارضات البردة على العصور التي تلتها بل امتد تأثيرها إلى عصرنا الحاضر [١٠] حيث عارضها شعراء كبار أمثال : البارودي في قصيدته " كشف الغمة في مدح سيد الأمة " والتي بلغت أربعمائة وسبعة وأربعين بيتاً ومطلعها [١١] :

يا رائد البرق يمم دارة العلـم واحدُ الغمام إلى حيٍ بذي سلـم

وعارضـها أحمد شوقي [١٢] أيضاً في قصيدته التي أسماها " نهج البردة " وتبلغ مئة وتسعين بيتاً ومطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهـر الحرم

وممـن عـارض البردة كذلك في العصر الحديث : محمود صفوت الساعاتي، وعبد المجـيد شـوقي، ومحمـود جـبر، وعـادل مخلوف [١٣]، وعلي الدرويشي، وعائشة التيمورية.... وغيرهم. [١٤]

ولـم يكـن شعراء اليمن بمنأى عن هذا التيار على مر العصور [١٥]. فقد برز منهم شعراء خصوا المديح النبوي بجميل قرائحهم وذوب أذواقهم، [١٦] كما لم يكونوا بعيدين

---

(9) المرجع السابق – ص ٢٣٣ .

(10) انظـر : تاريخ المعارضات في الشعر العربي : د محمد محمود قاسم نوفل – ص ١٦٥ وما بعدها، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان – بيروت ،وعمان ط ١ / ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

(11) انظر : المدائح النبوية – ص ١٤٢ .

(12) انظر: تاريخ المعارضات في الشعر العربي – ص ١٦٥ .

(13) انظر : المرجع السابق – ص ١٦٢ .

(14) انظر: بردة البوصيري ومعارضاتها – ص ٢٨١ ، ٣٠٧.

(15) انظر: الشعر اليمني عبر العصور :د. عبد القوي الحصيني ، مخطوط ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م وقد تشابه العصران الأموي والعباسي في اليمن مع سائر الأقطار العربية فـي انحسار مد المديح النبوي وتحوله إلى شعر التشيع لأل البيت غير أنه ظهر في اليمن تحت اسم " الدوامغ " وهي مناقضات شعرية بين شعراء الشيعة ومعارضيهم (انظـر : موضوع " الدوامغ في تاريخ الشعر اليمني "من كتاب: تاريخ اليمن الفكري:

عن أجواء التأثر فشاركوا في معارضة عيون أشعار المديح النبوي وخاصة " البردة " (١٧).

أحمد محمد الشامي ١ /٣١٢ - ٣٢٢، ٤ / ٢٧ ، منشورات العصر الحديث - بيروت ، ط / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، وانظر: شرح الدامغة للهمداني ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ، ط ١٩٧٨ م . وانظر دراسات في التراث : عبد الله الحبشي ، فصل الدوامغ في التراث اليمني ، دار العودة - بيروت ط ١ / ١٩٧٧ م .)

ولم تخل هذه الفترة من نفثات مديح وشعر ديني أو صوفي كما ورد عند أحمد بن علوان وأحمد بن عيس الرداعي ومحمد بن ابراهيم الوزير

(16) خاصة في القرن العاشر وما بعده فقد شهد اندفاعاً كبيراً من الشعراء للمديح النبوي حتى لا يكاد يخلو ديوان شاعر منه ، وكأن الشعراء باتجاههم إلى الرسول (ص) يضربون صفحاً عن الزعامات الوقتية التي تجتر منهم أغلى ما يملكون بأبخس ما يعطون ، بل نجد منهم من قصر أغلب شعره على المديح النبوي كالشاعر علي بن أحمد بن محمد بن اسحاق . كما نجد من برز واشتهر فيه أمثال : محمد بن السودي (- ٩٣٢ هـ) ، حاتم الأهدل (- ١٠١٦هـ) وعبد الله بن علي السقاف الحضرمي (- ١٠٣٧ هـ) انظر : الشعر في اليمن من (١٠٤٥ هـ - ١٢٨٩ هـ) : طه أحمد أبو زيد ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية . - ص (٢٣١ - ٢٩٠) والأدب في اليمن عصر خروج الأتراك : عبد الله الحبشي - ص ٢٢٥ ، دار المناهل بيروت ، والدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط ١/ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ونيل الوطر لزبارة - ص ٢ / ١٢٠ مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء، ط١ / دار العودة - بيروت ، والشعر اليمني من (٥٦٩ - ١٠٤٥ هـ): أحمد حافظ الحكمي، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر كلية اللغة العربية- ١٤٠٣ / ١٩٨٣ رقم ١٩٠٦)

(17) انظر : الشعر اليمني عبر العصور - ص ١٥.

ومما لا شك فيه أن كثيراً من الشعراء اليمنيين في العصر الحديث قد عارضوا بردة البوصـيري[١٨]، لكني سأكتفي بنماذج ثلاثة من هذه المعارضات على اعتبار أنها ستفي بالغرض المقصود من هذه الدراسة، ألا وهو التعرف على منشئيها والتوصل إلى أساليب بـنائهم للقصـيدة، ووسائل تشكيلهم لها، ثم التعرف على مدى تأثرهم بالبوصيري، أو تبادلهم التأثير فيما بينهم.

وهذه المعارضات هي :

١- نظام البردة :

للشـاعر المسـرحي الكبير " علي أحمد باكثير " [١٩] وهي قصيدة مديح نبوي بلغ عـدد أبياتها مئتين وستة وخمسين بيتاً، قالها عام ١٩٣٤م أثناء بقائه في الحجاز وهو عازم على زيارة الرسول ﷺ.

٢- وحي البردة :

---

(18) مـن هذه المعارضات : معارضة أخبرني بوجودها لديه الأخ / مهدي أمين سامي صاحب نسج البردة ، وهي بعنوان عبير الوردة على نهج البردة لحسن محمد شداد باعمر ، كمـا أخبرنـي د . عبد الولي الشميري بوجود معارضة أخرى للشاعر محمود حسن الجـباري فـي مكتبة مؤسسة إبداع التابعة له محفوظة لدى الشاعر اليمني الحارث بن الفضل مدير المؤسسة .

(19) ولـد علـي أحمـد باكثير في " سورابايا " بأندونيسيا عام ١٩١٠م ، أرسله والده للدراسة في بلده حضرموت التي بقى فيها حتى عام ١٩٣٢م حين غادرها بعد وفاة زوجه " نور " إلى عدن ثم إلى الحجاز ومنها إلى مصر حيث مكث فيها عمره الثقافي مما كان له أبلغ الأثر في ازدهار عطائه الفكري والفني والثقافي وعاش فيها حتى وافاه الأجل عام ١٩٦٩م بعـد أن خلد ثروة فكرية وفنية بلغت أكثر من (١٥٠) مسرحية ورواية وقصة ، وستة دواوين شعر .

انظـر للمزيد من ذلك : اشراقات عن باكثير: د/ عبد القوي الحصيني ، مركز عبادي للدراسـات والنشر – صنعاء ، ط١ ١٤٢٣/٢٠٠٣م . ونظام البردة علي أحمد باكثير ، دار مصر للطباعة – القاهرة.

وهـــي للأســـتاذ / محمـــد سعيد جراده [٢٠] وتتألف من " مئة وإحدى وستين " بيتاً شعرياً. كتبها عام ١٩٦٧، ويبدو أنها قيلت في إحدى مناسبات المولد النبوي الشريف.

٣- نسج البردة :

قصـــيدة مديح نبوي كتبها مهدي أمين سامي عام ٢٠٠١م [٢١]، ويبلغ عدد أبياتها مئتين وعشرين بيتاً.

ويلاحـــظ من هذا السرد التاريخي لحياة أصحاب المعارضات وتواريخ تولد قصائدهم ما يلي : •

---

(20) محمـــد سعيد جرادة من مواليد محافظة عدن عام ١٩٢٧ عمل مدرساً لمدة خمسة وعشـــرين عامـــاً ، ثـــم باحثاً في المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، كما عمل مستشاراً للخارجـــية اليمنـــية بأثيوبيا، ونال وسامين في الآداب من حكومتي الشطرين في اليمن . خلف ثروة ثقافية تمثلت في ستة دواوين شعر ، وثلة من الكتب الأدبية والتاريخية منها : " أعـــلام مـــن الأدب العربـــي " ، " والأدب والثقافة في اليمن عبر العصور " . انظر : الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور : محمد سعيد جرادة ، ط ١٩٨٥ (د . ت) صفحة الغلاف .

وانظر قصيدته " وحي البردة " في : الأعمال الكاملة : محمد سعيد جرادة، ص (١٣٨ – ١٥٠)، ج١ ، مطابع دار الهمداني عدن ، ط ١٩٨٨ م .

(21) مهـــدي أمين سامي من مواليد محافظة تعز ١٩٥٥م ، عاش ودرس فيها ، وعمل مديـــراً عاماً لمكتب محافظ تعز ، له قصائد شعرية وطنية ومدائح مناسباتية ، كما أن له قصـــائد رائعـــة فـــي فلسطين والانتفاضة الأخيرة ، وشعر في الغزل وسائر الأغراض الأخرى .

وقـــدر لـــي أن أشهد مرحلة تولد قصيدته " نسج البردة " ، ولم يقلها بمناسبة معينة ، بل كانت تولداً ذاتياً عاطفياً ومحاكاة للبردة .

انظـــر : نســـج الـــبردة : مهدي أمين سامي ، مطابع مؤسسة الجمهورية تعز ، ط١ / ١٤٢٢هـــ – ٢٠٠١م .

- أنهم جميعاً من مواليد قرن واحد هو القرن العشرين بحسب الترتيب (١٩١٠ "باكثير" – ١٩٢٧ "جرادة " – ١٩٥٥ م " مهدي ").
- أنهم تعاصروا جميعاً، وقضى كل منهم فترة من عمره بوجود الآخرين.
- وجود فارق متساو – تقريباً – في زمن قول المعارضات بين الأول والثاني والثالث (باكثير ١٩٣٤ –جرادة ١٩٦٧م – مهدي ٢٠٠١م)، (ثلاثة وثلاثون عاماً تقريباً).
- قال باكثير قصيدته وهو ابن " ٢٥ " عاماً وقال جرادة قصيدته وهو ابن " ٤٠ " عاماً أما مهدي فقد قالها وهو ابن "٤٦ " سنة.
- عدد أبيات المعارضات الثلاث على الترتيب (٢٥٦ – ١٦١ – ٢٢٠)
- قال باكثير قصيدته وهو في الأراضي الحجازية أما الآخران فقد قالا قصيدتيهما وهما في بلاد اليمن السعيد (عدن – تعز)

وستحتوي هذه الدراسة مبحثين :

الأول : البناء الفني للمعارضات ونعرض فيه لعدة موضوعات منها :

- المطلع
- المقدمة
- حسن التخلص
- الختام

• وبعمل موازنة بسيطة بين هذه القصائد وبين الأصل البوصيري نلاحظ أن تشابهاً ظاهرياً يلحظ في عدد أبيات القصيدة بين البوصيري وجرادة فقط (١٦٠ – ١٦١) ، بينما لا يوجد أي تشابه بين أي منهم وبين البوصيري في السن التي قيلت فيه القصيدة إذ كان سن البوصيري عند قوله البردة يفوق الجميع فقد كان عمره حينها ٦٩ عاماً .

يوجد تشابه – إن صحت رواية الدندراوي – بين البوصيري وباكثير في أن كليهما قال قصيدته بعد رحلة حج وزيارة للعتبات المقدسة .

الثاني : أفكار المعارضات وتأثرها بالبردة وندرس فيه :

- الإطار العام الذي صيغت به الأفكار
- محاور الأفكار
- المحتوى
- الترتيب السردي للأفكار
- وصف الرسول
- الموقف من الكرامات والمعجزات
- معجزة القرآن

وستسير الدراسة على المنهج التكاملي الذي يتلازم فيه الوصفي والتحليلي والإحصائي... وغيرها ليتشكل نسيج هذه الدراسة.

المبحث الأول

البناء الفني للمعارضات

وهو ترتيب أجزاء الكلام " حتى تأتي متسلسلة متسقة "[٢٢] ويتكون من: حسن المطلع أو الابتداء، والتخلص والاقتضاب، والانتهاء أو الخاتمة.

أولاً : المطلع :

استحسن النقاد من المطالع ما كان مرآة تكشف الغرض الذي سبقت له القصيدة، وتدل على التجربة التي انفعلت بها النفس [٢٣] ويطلقون على ذلك براعة الاستهلال. والمراد بمطلع القصيدة أول بيت فيها.

وباستعراض مطالع المعارضات التي بين أيدينا وهي :

---

(22) في النقد الأدبي الحديث: د . محمد طاهر درويش ، مكتبة الشباب ، ط ١٩٧٧ – ص ٢٣٥

(23) انظر: في النقد الأدبي الحديث: د . عبد الرحمن شعيب، مطبعة التأليف بمصر ، ط ١٩٦٨ – ص ٣٠٢ .

مطلع باكثير:

يا نجمـــة الأمل المغشى بالألم كوني دليلي في محلولـــك الظُلم

مطلع جرادة:

راع المشوق وميض في دجى الظلم وحرم النـــوم ذكرى جيرة الحرم

مطلع مهدي:

يغالب الحب يخفى لوعة الألم من شوقه وبحال جد مكتتم

يلاحـــظ أن علاقـــة مـــا تؤلـــف بين أجزائها بعضها ببعض، وبمعارضتها بالأصل البوصيري :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

تلاحظ علاقة أخرى.

ذلـــك أن تبادل التأثر والتأثير سيكون حقيقة واقعة طالما كان هناك إعجاب واهتمام بالـــتجربة السابقة، ويتأكد الاحتذاء حين يضاف إلى الاهتمام والإعجاب – المعاصرة أو الاطـــلاع علـــى التجربة السابقة. وبمتابعة مطالع معارضات البردة والتأمل فيها، تلحظ خيوط التواصل بينها، وأنسجة التأثر والتأثير، ومن ذلك :

- نغمة الحزن الظاهرة في المطالع الثلاثة المعارضة وفي الأصل المعارض.
- سيطرة عاطفة الحب والشوق والوجد على مطلع " وحي البردة " لجرادة " و " نسج البردة " لمهدي أمين ومشابهتهما في هذه العاطفة مع مطلع " البردة " .
- باكثير في مطلع " نظام البردة " يطلب من النجمة – حتى مع خفوت ضوئها المغشي عليه – إن تبدد ظلامه الحالك وأن تدله على الطريق، وجراده في " وحي البردة " يخشى أن يبدد وميض النجمة دجاه الحالك.(على تفسير راع أخاف، وعلى أن يعود الوميض إلى النجمة). وفي هذين المطلعين مظنة أخذ وتبادل تأثير بين السابق (باكثير) واللاحق (جرادة) فلدى الأول : نجمة ضوؤها مغشي وأمل، وظلام حالك وألم.. ولدى الآخر : وميض خافت، وظلام داج وخوف.
- في مطلع " نسج البردة " لمهدي أمين، " الحب " و " الشوق " و " الألم " و " كتم الحب " وهذا تأثر ظاهر بسابقيه " باكثير " و " جرادة " فختم صدر مطلعه بكلمة " الألم " تأثير باكثيرى، إذ إن اللفظة نفسها " الألم " هو ما ختم به باكثير صدر

مطلعه و " الحب " و " الشوق " في مطلع " نسج البردة " لمهدي يقابلها " المشوق " و " الذكرى " في مطلع " وحي البردة " لجرادة وهذا مكمن تأثر بجرادة.

- التكتم ومغالبة الحب وإخفاؤه عند مهدي هو الصورة الأخرى لسيلان الدمع دماً عند البوصيري، فالكل مبتلى بالحب الشديد القاهر، والفرق بينهما أن "البوصيري" صرح به وعبر عنه بالبكاء الدمعي الدموي، بينما غالبه" المهدي " وكتمه وأخفاه.
- تضمن مطلع جراده في " وحي البردة " لفظتين من مطلع "البردة " فـ " الذكرى والجيرة " عند جرادة هما " التذكر والجيران " عند البوصيري وهذا احتذاء واضح وتأثر صريح.
- الآخر المشارك للشاعر ومشاعره في مطلع " النظام " هو " النجمة " وقد أجراها الشاعر مجرى المخاطب فهو يناديها ويطلب منها، فالذات بارزة في مطلع باكثير، والطرفان المتشاركان في صياغة المطلع كلاهما حاضر، ولكليهما تواجد صريح :

  – في النداء (يانجمة – كوني) (الطرف الآخر النجمة).

  – في الضمير (دليلي) (الطرف الأول الشاعر).

- والآخر المشارك لصاحب " وحي البردة " هو " البرق " على أن يكون هو مصدر الوميض وليس النجمة، بدليل كلمة " راع " قبلها ، وضوء النجمة لايفزع بل يبعث الشاعرية والجمال والسحر.

أما " حرم النوم " فقد ضاع الآخر فيه إذ لم يبد له صاحب فنوم من هذا الذي طار، هل نوم الناس كلهم ؟ أو بعضهم ؟ أو الشاعر ؟ أو غيره. ومثلها " المشوق " في : راع المشوق !؟

- أما الآخر المشارك لمهدي أمين في نسجه فـ " هو "، من "هو " هذا الذي جاء في صيغتين لضمير المستتر الغائب : " يغالب " " يخفي " ؟.

من الجائز أن يكون هذا الآخر الافتراضي الذي يتحدث الشاعر عنه " هو " " نفسه " غير أنه أتى به على استحياء ولم يكن بجرأة باكثير أو بصراحته في البوح بألمه وشكواه. فهل لهذا علاقة ما بمنهج فرويد في التحليل النفسي [٢٤].

---

(24) سنعرض لذلك في الحديث عن المقدمة في المبحث القادم

- وبمعارضة ذلك بالآخر لدى البوصيري نجد أنه ظاهر موجود جاء به في صيغة المخاطب " مزجتَ " وعبر عنه في فعل واحد فقط في عجز المطلع وأخفاه في الصدر وبهذا يكون " جرادة " أقرب إلى التأثر بالبوصيري في إبهام المشارك الآخر – في صدر المطلع – .
- ابتدأ مطلع باكثير مشابهاً لمطلع البوصيري بصيغة انشائية(النداء)"يا" فيما هي عند البوصيري "الاستفهام" (أ).
- فيما ابتدأ المطلع عند جرادة والمهدي بصيغة خبرية جملة فعلية ابتدأت عند الأول بفعل ماض (راع) وعند الآخر بفعل مضارع (يغالب)، مطلع النسج أفعاله مضارعة (يغالب – يخفي) تعكس صورة الصراع القوي الآني (اللحظى) بين الشاعر وذاته ومشاعره، ففي الأفعال إعمال ممارسة الضغط القسري على المشاعر المتفجرة، التي لا يمكن كبتها أو إخفاءها إلا بشق الأنفس ومنتهى الجهد (جد مكتتم).
- فعل الأمر الوحيد في مطلع "النظام" لباكثير (كوني)، فعل طلبي وربما وصل حد الترجي والاستغاثة واللجوء.
- المغشى بالألم في مطلع نظام " البردة " لباكثير كناية عن خفوت ضوء النجمة، وهو تصوير لحالة الشاعر النفسية التي غشى الألم وطغى على آمالها. والصورة واسعة الأبعاد : صورة الليل الحالك يكتم ويكبت ضوء النجمة الضعيف الخافت وصورة آلامه التي تحجب آماله، كما يلاحظ الانسجام والتناغم اللفظي في هذا المطلع من خلال ائتلاف صيغة الأمل والألم – ني / لي / في – دليلي / محلولك / الظلم.

ونخلص من هذا التسيار مع المطالع إلى ما يلي :

١- انسجام مطلع باكثير في " نظام البردة " لفظاً ودلالة، وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن الحالة النفسية التي يعيشها والتي استدعته للولوج إلى حضرة النبيﷺ بهذا المديح عله يتخفف من ظلمته النفسية ويشعر بالأمن والاقتراب.

٢- مطلع جرادة مضطرب بين الأخذ من نظام " البردة " لباكثير في صدر المطلع أو تقليد " البوصيري " في الشطر الثاني من المطلع (العجز) ومن هنا اكتسب مطلعه تلك الركاكة المعنوية فإذا أضيف إلى ذلك الاضطراب اللفظي في كلمة " راع " (راع

المشوق وميض) المبهمة الدلالة في تركيبها كما هو في المطلع فهي تعطي معنى روّعهُ وأخافه : أو لفت انتباهه وأسره (رائع) فإن حال تصريفها عن بلوغها معنى "الروعة " اضطربت دلالتها إذ كيف يمكن أن يكون لمع البرق في الظلام مصدر إخافة، وهو مصدر فرح ((كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا)) (البقرة – آية ٢٠)، ألا ترى أن صاحب الأصل (البوصيري) حينما أراد أن يعرفنا بمشاعر الشجن والشوق والتطلع التي انتابته استخدم وميض البرق : " وأومض البرق في الظلماء من إضم " وحتى لو أخذنا بالتفسير الأضعف لمصدر الوميض وهو النجمة فالاضطراب حاصل أيضاً إذ كيف يخاف الساري من وميض النجمة الهادئ الرائع المؤنس.

٣- ومطلع مهدي لا غنى فيه، فليس بكاف تاليه، وهو غير مستقل بذاته، بل يحس قارؤه أنه في حاجة لما بعده، وهو عيب ظاهر، إلا أن له مزية مكتتمة – كاكتتام أشواقه – وهي أنه يشد قارأه إلى ما بعده، ويجعله متلهفاً لمعرفة دواعي تلك المغالبة ودوافع ذلك التكتم من قبل الشاعر، وهو ما يقوي الوحدة العضوية للقصيدة كما يتضح أن المهدي استقى مطلعه من مطالع السابقين نصاً وروحاً، ويظهر تأثره جلياً بالمطالع الثلاثة السابقة له (البوصيري – باكثير – جرادة) وقد تمثلها جميعاً وحشدها حشداً قوياً يعكس قوة سليقة وتمكن شعري.

٤- شارك مهدي باكثير في غلبة الألم عليهم ولئن كان ألم باكثير معروف الدافع فما سبب ألم المهدي ؟

٥- "المكان" في المطالع الثلاثة غير موجود وهو نوع من القفز من التقليد إلى التجديد، كما أنه تحرر من مطالع المديح النبوي في العصور السابقة أو المعاصرة المقلدة.

٦- مطلع باكثير والمهدي نفسيان، ومطلع جرادة تقليدي وكان من الممكن تآلقه لو لم يعتص عليه التعبير ويقصر عن الفكرة التي كانت تحاول التولد لديه، ولعل التجربة لم توافق حالاً لديه حيث والقصيدة مناسباتية أصلاً ذات دافع خارجي فيما الدافع داخلي نفسي لدى معاصريه (باكثير ومهدي) .

ثانياً المقدمة :

تفاوتت المعارضات الثلاث في مقدماتها تفاوتاً بيناً، من حيث عدد أبياتها والموضوعات المتضمنة فيها ونوعها، فعلى مستوى عدد أبيات المقدمة نقرأ هذه الاحصائية :

- نظام البردة - باكثير - = ٣٣ بيتاً ← (من ٢٥٦) ($\frac{1}{8}$) القصيدة

- وحي البردة - جرادة - = ٤١ بيتاً ← (من ١٦١) ($\frac{1}{4}$) القصيدة

- نسج البردة - مهدي - = ١٩ بيتاً ← (من٢١٧) ($\frac{1}{11}$) القصيدة

الأصل المعارض (البردة) = ٢٨ بيتاً ← (من١٦٠) ($\frac{1}{6}$) القصيدة

وفيها نرى أن الاقتضاب لدى مهدي يقابله الاضطراد لدى جرادة (١٩ : ٤١) والعددان بالنسبة لإجمالي عدد أبيات القصيدة (١٩ من ٢١٧) و (٤١ من ١٦١) يساوي ($\frac{1}{11}$ ، $\frac{1}{4}$) على التوالي، وفي المقابل تشكل مقدمة باكثير (٣٣ من ٢٥٦) = $\frac{1}{8}$ من عدد أبيات القصيدة وبمعارضتها بمقدمة البوصيري (٢٨ من ١٦٠) = $\frac{1}{6}$ ، وإذا كانت مقدمة البوصيري هي المعيار باعتبارها الأصل المعارض فقد وقعت معارضة مهدي في طرف ومعارضة جرادة في طرف آخر فيما مالت معارضة باكثير في مقدمتها إلى الاقتراب من الأصل البوصيري والتوسط بين المعارضتين السابقتين.

وعلى صعيد الموضوعات : تضمنت المقدمات موضوعات شتى التقى الشعراء فيها وافترقوا، قاربوا مع الأصل أو باعدوا. [٢٥] ؟!!

هذه مقدمة باكثير في نظام البردة تضمنت موضوعات منها : محادثة نجمة الليل، وصف الليلة الحالكة الشديدة البرودة، خطورة الطريق التي يسير فيها، عودة للحديث مع النجمة وعنها، همه الذي أثقله بسبب قهر أمته العربية، وضعف الدين ومحاربته من

---

(25) سيتم استعراضها في المبحث الثاني من هذه الدراسة .

أهلـــه وأعـــداءه، همّ بلده حضرموت الغارقة في الجهل والتخلف والاختلاف، عجزه عن بلـــوغ آمالـــه الحديث عن الحب ووصف تجربته الحزينة معه، الشباب والعمر الضائع منه، والخوف من عدم بلوغ أهدافه في زمن الشباب وقبل أن يأتي المشيب.

ما اسم هذه المقدمة، وإلى أي نوع من أنواع المقدمات يمكن أن ترد ؟!

أهي مقدمة غزلية أم طللية أم هي رمزية ؟ أم وجدانية ؟ أم لا هذا ولا ذاك ؟

دعنا نطالع مقدمة جرادة في (وحي البردة) ونتابع موضوعاتها :

حديـــث عن الشوق والحب المسيطر على المشوق، حوار مع الليل وطوله وظلمته، مشاركة الطير له في شجوه وحزنه، وصف رحلة حبيبه وفراقه للديار، وصف حاله بعد الفـــراق، تغزـــله بالحبيـــبة الراحلة وذكر أوصافها وحاله بعدها، وأخيراً الوعظ والحكم والحديث عن النفس والمشيب والدنيا.

ولن أكرر الأسئلة السابقة، بل سأنتقل إلى مقدمة مهدي في " نهج البردة " ، وفيها :

وصف لموقف الشاعر من الحب وكتمه له، وصف حبه وعواطفه، إنكار قدرته على كتم الحب لقوة سطوته، فلسفة الحب، وعظ وحكم، حديث عن الشيب.

ماذا يقول النقد في هذه المقدمات ؟ وإلى أي نوع يردها ؟

لن نجيب على هذا السؤال قبل أن نرى مقدمة البردة وما الذي قاله النقاد فيها، وقبل أن ندرك حقيقة تقليد المعارضات لها أم اعراضها عنها.

بمعنى آخر : هل كانت مقدمة " البردة " تحمل هذا التشتت ؟ وهل استطاع النقاد ردها إلى شيىء ؟

لنستمع إلى بعض أقوال النقاد في مقدمة " البردة " :

- كتبها بالذات المعذبة الواعية فأكثر من الشكوى فيها. فهي من المقدمات الوجدانية. (٢٦)
- مقدمة "البردة " رحلة "رمزية " أداتها الذاكرة أساساً في المكان والزمان والوعي (الذات). (٢٧)

---

(26) د . قرشي عباس دندراوي في كتابه : شعر البوصيري دراسة فنية – ص ٢٠٢ ، ٢٢٢ .

- بدأ الشاعر قصيدته بالغزل على عادة الشعراء القدامى من العرب. (٢٨)
- استهلها بالنسيب كعادة الشعراء من قبله. (٢٩)
- نسيب البوصيري بالتعريض والإخفاء. (٣٠)
- المقدمة الحكمية التي طبعها بطابع الوعظ والنصيحة. (٣١)

تشتت النقاد يؤكد تشتت المقدمة لدى البوصيري في بردته، وتشتت الأصل يؤدي حتماً إلى تشتت الصور (المعارضات) وهو ما حصل فعلاً، فجاءت المعارضات الثلاث مشتتة بين عوامل الفن وعوامل النفس، عامل الماضي التقليدي وعامل الواقع المعاصر، العامل التاريخي الأدبي بكامل موروثه والعامل التقليدي المعارض للبردة بشكل خاص.

وهكذا جاءت المقدمات الثلاث : جامعة بين القديم والجديد، التقليد والتجديد، الغزل واللاغزل، الحب والاعتذار عنه والخوف منه بل والتبرؤ منه، الخلط بين الماضي التاريخي والحاضر الواقعي، الفرار من الذات واللجوء إلى المعادل الموضوعي أو الرمز، الهروب من التغزل بالحبيبة إلى التغزل بالذات، وصف الراحلة والسيارة، وصف الطريق ورحلة الحبيبة، البكاء على الأطلال، والبكاء على تخلف العرب.

وإذا كان البوصيري قد تجاوز الشتات بقدرته الفنية وحاول – جاهداً – لملمة مقدمته، مما أدى إلى تقارب أجزائها، بين الانتماء إلى بانت سعاد أو إلى ميمية ابن الفارض. وحسم الصراع بين الفن والنفس، والتقليد والابتداع، بين مذهبه الفني ومذهبه

---

(27) د . محمد رجب النجار – المرجع السابق – ص ٢٢١ .

(28) د.جابر عبد الرحمن سالم، انظر: بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث –ص٨١.

(29) د . مصطفى عبد العاطي غنيمي عبد الرحيم في كتابه : الصورة الفنية في قصيدة المديح النبوي – ص ٣٩٨ .

(30) نفسه – ص ٣٩٩ . وانظر أيضاً : بين البردة ونهجها دراسة بيانية نقدية : الباز عبد الغفار أحمد حجاب – ص ٢٣٨ وما بعدها ، رسالة ماجستير ١٩٨٧ م ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية ، قسم البلاغة والنقد .

(31) تاريخ المعارضات – ص ١٦٤ .

الصـــوفي، فجـــاءت مقدمة بردته أكثر تماسكاً وانسجاماً مع موضوعها [٣٢]، فقد عجز معارضوه عن لم شتات مقدماتهم فجاءت بالصورة التي ذكرت آنفاً. [٣٣]

لئـــن غضضـــنا الطرف عن تلك الهنات في مقدمة المعارضات، وانتقلنا إلى تحليلها والموازنة بينها فسنجد ما يلي :

١- الحب والغزل والموقف منه :

مـــن الممكن التأكيد أن القوم قد ولجوا هذا الباب وجلين ومن ثم اضطربت غزلياتهم بين الإعلان والإضمار، بين الواقع والخيال، بين الغزل العذري والتغزل بالزوجة والتغزل بالذات، بين الحذف والاثبات. بين الهروب من الحب والاقبال عليه، بين الحب الوجداني العاطفي والعقلي الفلسفي، وهذا كله قد كان.

إن المطالع واجد – أول ما يجد – الرغبة الجامحة لدى الجميع في التغزل سواء في الأصـــل البوصـــيري أو في المعارضات الحديثة، وهذا بتأثير شدة قيد القديم. وإذا كان البوصـــيري قـــد جـــنح بالحب على مراسي الحضرة النبوية والرمز الصوفي فقد اتخذ مقلدوه مراسي أخرى تمثلت في المعادل الموضوعي " النجمة " عند باكثير وجرادة،

وذات الشـــاعر عـــند مهدي. ولئن فر جرادة من الخفاء إلى الظهور، وواجه حبيبته بغزليات صريحة. [٣٤] فقد انصرف باكثير إلى التغزل بزوجه " نور" [٣٥] وانكفأ مهدي

---

(32) وتغلب ابن الفارض فيها على أبي تمام . انظر : تاريخ المعارضات – ص ١٦٤ ، وشعر البوصيري – ص ٢٤١ .

(33) فلا هي انتمت إلى البردة ولا إلى بانت سعاد ولا إلى غيرهما .

(34) شـــملت الأبـــيات (١٣ – ٢٣) منصـــرفاً إلـــى بانت سعاد وبعيداً عن البردة ، ويفصح عن هذا الأخذ من بانت سعاد في وصف محبوبته (ب ٢١) :

تفتر عن عقد مـــــاس في مقبلـــها أحـــــل خمر لأتقى عاشـــــــق نهم

فهي من قول كعب في سعاد (ب ٤) :

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهـــــل بالـــــراح مـــعلول

وكذا في قوله (ب ١٩)

إذا مشت خلتها قيثـــارة صـــدحت أو لحن نبع جرى في الروض منسجم

في نرجسية عمرية على ذاته. بدافع الحياء ورهبة الدخول إلى الحضرة النبوية بالمقدمة الغزلـية والنسـيب رفض صاحب النسج ما وجده في مولد ابداعه الشعري من أبيات، وأبـى أن يسـطرها في مقدمة نسج بردته [٣٦] واستعاضها بأبياتٍ أُخر، هي أشبه ما تكون بغزليات عمر بن أبي ربيعة، إذ انقلب إلى ذاته يتغزل بها ويصف بكارة عواطفه، وعذريته، وصبا هواه، وحبه الحرون... الخ.

ملمح آخر في غزليات المعارضات نجده في الغزل الفلسفي والتعليمي، وهو يتجلى – أوضح ما يتجلى – لدى مهدي أمين [٣٧] كبديل لانصرافه الكلي عن التغزل بالمحبوبة، وهو مأخذ آخر عليه، فالشعر وجدان وعاطفة، وليس فكراً وفلسفة، وليس معيباً أن تقدح زناد الفكر وتؤجج جذوة العقل لكن ذاك يكون في ميدان آخر من ميادين الشعر، حيث شعر الحجاج المنطقي والجدل العقلي أو في النظم التعليمي .

فهي من قول كعب (ب ٥) .

شجت بذي شبم من مـاء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمـول

(35) الأبيات (٢٤ – ٢٨)

(36) يقـول : " لا أخفى القول بورود ستة أبيات غزلية رمزية كانت ضمن النسج في مرحلـته الأولـى ، وحينما اكتمل العمل ، رأيت أن تلك الأبيات قد لا تكون متناسبة مع جـلال مقام الحديث عن رسول الله .." وقد أفتاني قلبي باستبعادها ، وفعلت " ثم يسردها ص ٩، ١٠ من الطبعة الثانية ، القعدة ١٤٢٣ هـ يناير ٢٠٠٣ م . وهل عاب أحد شوقي في نهج البردة حينما أطرد غزله ليستغرق (٢٤) بيتاً من القصيدة.

(37) الأبيات (٥–٩) ، (٢٠– ٢٥) في قوله :

وإنما الحـب كالأقدار إن نزلت فما علينا سوى التسليم والسـلم

والحب إن حل في قلـب تملكه على ولاءٍ بأمر الحـب ملتزم

والحب حرف سماوي اللغى جهلت معناه نفس ترابي وذي سقـم

روح الحياة بفيض السـر منبعث لولاه أضحى وجود الخلق في عدم

(الأبيات ٥–٨) ، وانظر أيضاً الأبيات ٢٠– ٢٥)

ولم يسلم شريكه باكثير من هذا المقدح وإن كان مقلاً [٣٨]. ففي البيت[٢٨] نجد قوله:

ما الحياة بلا حب سـوى جنف عن فطرة الله أو ضرب من العدم

مع كل هذا الإمحال ؛ فإنهم لا يفتأون يذكرون عذرية حبهم المعدوم. وأن ما ذكروه – بل ما لم يذكروه – إنما هو طيف خيال، يقول جرادة : (ب ١٧)

بادلتها حب من يسمـو بها أبداً وعفة الحب أسمـى ذروة العصم

وهو نفسه عند مهدي : (ب ٢٢)

والحب روض بهيج بالنقا عبـق تسمو به الروح عن سوء وعن أثم

وهي هي عند البوصيري : (ب ٩، ١٠)

نعم سرى طيف من أهوى فأرقني والحـب يعترض اللـذات بـالألم

يالائمي في الهوى العذرى معذرة مني إليك ولـو أنصفـت لم تـلـم

٢ – الذات الشاعرة وحضورها في المقدمة :

تعـاور الظهـور والخفاء ذات الشعراء في مقدماتهم، وظلت الذات الشاعرة حبيسة وراء الآخر لدى البعض، فيما اتخذت معادلاً موضوعياً أو رمزياً عند الآخرين .

وليس من السهل الجزم بأن هذا بتأثير البوصيري الذي لم تبرز ذاته في المقدمة إلا فـي البيـت العاشـر بعـد الاسـتكنان وراء المخاطب (ب١، ٢، ٥، ٦، ٧) والآخران الإفتراضـيان (ب ٣) والغائب (ب ٤) حتى تمكن أخيراً من الظهور وكسر طوق الحصار الذاتي وتجاوز الآخر " عدتك حالي... " فيشاركه التجلي حين لا يظل للتخفي مردود. إن عوامـل ذاتـية – خاصة – كان لها قدر من التأثير –أيضاً– على شعراء المعارضات فرضت عليهم إخفاء ذواتهم في مقدماتهم.

هذا التأثير المزدوج – التقليدي الخارجي / الداخلي النفسي – جعل جرادة يغيب في المقدمة ولا يظهر إلا في البيت العاشر. [٣٩] وهو نفسه ما جعل مهدي أمين يتلاشى في

---

(38) انظر الأبيات (٤ – ١١) عند البوصيري فهي منها .

(39) فـي محاولـة لمـتابعة البوصيري ومجانبة خطى كعب وشوقي في إظهار الذات الشاعرة من المطلع :

– بانت سعاد فقلبي اليوم متبـول متيم إثرها لم يفـد مكبـول

– ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

المقدمة مسنداً دوره للآخر (الغائب: يطالب ، يخطىء) و(ضمير الجمع: أكفاننا) و(المخاطب: حبك - وامنح) ولم يخرج من هذا السجن إلا بعد ثلاثين بيتاً (ياسيدي).[٤٠]

٣- المعادل الموضوعي والرمز في المقدمات :

استخدم البوصيري الإشارة إلى بعض الأماكن كرمز للمعاني الدينية، عبر بها الشاعر عن هفو القلوب إلى الأرض التي احتضنت الرسالة والرسول. [٤١]

وجاء على إثره معارضوه في العصر الحديث ليطوروا هذا الاستخدام الإشاري الرمزي، ليظهر بصورة أعمق لدى باكثير في مقدمته التي تموج أسىً وتعكس حالته النفسية السوداوية، ويأسه وإحباطه ومعاناته..

فالنجمة والليل والطريق الوعر المخوف المحفوف بمظان الهلاك..كلها معادلات موضوعية لحياة الشاعر وحالته النفسية، كما أن في النجمة الأولى (ب ١) رمزاً لبصيص الأمل الذي يلوح خافتاً ضئيلاً بين يدي الشاعر يقول :

يا نجمة الأمل المغشى بالألم ... كوني دليلي في محلولك الظلم

والنجمة الثانية في قوله (ب٧) :

فأشرقي وأنيري لي السبيل فما ... لي غير نورك من منجى ومعتصم

إنما هي رمز لمحبوبة الشاعر.

وبالمثل نجد الطائر في مقدمة جرادة معادلاً موضوعياً للشاعر، فذلك يشدو بأسى وحزن، وذاك يتلوى حرقة وأسى، [٤٢] يقول :

ما راعني فيك إلا طائر غرد ... أزجى أهازيجه في هدأة الغسم

أمسى يردد ألحاناً مدلهة ... لهفى من الوجد أو حرّى من السقم

يا ساجع الأيك ساجلت الشجىّ أسى ... يشوي الشوى بأتون لافح ضرم

وما يؤكد هذا التداخل الرمزي [٤٣] أن الشاعر جعل" الطائر الغرد " " يزجي أهازيجه في "هدأة الغسم " أى في المساء وهو ما لا يستقيم وطبيعة الطائر، ويتسق مع طبيعة

---

(40) وذلك بعد أن خرج من المقدمة ودخل في موضوع القصيدة ، ويخرج باكثير من هذا القيد إذ تجاوز هذه العقدة لكن لإبراز الذات المحطمة المكسورة .

(41) انظر : بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث - ص ٦٨٨ .

(42) الأبيات (٥ ، ٧ ، ٨) .

الشاعر. كما يمكن أن يكون " الآخر" هو المعادل للشاعر أيضاً عند جرادة. [٤٤] في قوله : (ب ١، ٣)

(راع المشوق) وميض في دجى الظلم وحرم النوم ذكرى جيرة الحرم

متيم باتت الذكرى تقلبه على فراش الضنى والويل والندم

٤- المقدمات المعارضة بين القديم والجديد :

مع دعوات التجديد وترك المقدمة الطللية أو الغزلية، وتولد القصيدة "البتراء"، وتقاطع هذا مع البناء التراثي لقصيدة المديح النبوي، المتتابع على مر العصور، وسيطرة الأصل الأول لقصيدة المديح كما هي في " بانت سعاد " وخروج البوصيري عن هذا الإطار كما لاحظنا - وهو المحتذى هنا - كان لا بد أن يحدث شيء من الخلط، سواءُ في مقدمة كل شاعر على حدة، أو بعضها مع بعض فمثلاً:

وصف نزوح الحبيبة من الديار ورحيلها عند "جرادة " [٤٥] موضوع قديم نجده في الشعر الجاهلي كما نجده ماثلاً في قصيدة " بانت سعاد "، وجرادة يعرضه كما هو، لكن باكثير لم يمتلك الجرأة في أخذ " وصف الصحراء " كما في القصيدة القديمة الموصوفة بإسهاب، بل اجتزأ ذلك واختزله في بيتين فحسب. [٤٦]

غير أنه استعاض بهذا الاقتضاب اطناباً في وصفه للراحلة. والراحلة ووصفها موضوع تقليدي شائع في مقدمات الشعراء. [٤٧] ولم يستطع باكثير الفكاك من قيده، لكنه تمكن من تحويره، فبدلاً من وصف الناقة، وصف السيارة وهذا مزج للجديد

---

(43) بين الشاعر والطائر .

(44) كما هو عند البوصيري .

(45) وحي البردة : (ب ١٠ ، ١٢)

(46) يذكر البيت (ب ٥ ، ٦)

(47) كما في قصيدة الأعشى " ما بكاء الكبير بالأطلال " وكعب في " بانت سعاد " وبلغ وصفهم للراحلة ما يقارب من نصف القصيدة .

بالقديم، [٤٨] وإخراج للقديم إخراجاً جديداً. لكنه ينتقل إلى الجديد في موضوع آخر : ذلك حين يتعرض لهموم وطنه وأمته ودينه فيعيش واقعه ويعالج قضايا عصره. [٤٩]

ويتعرضون لموضوع قديم آخر، تقاطرته البرده ومعارضاتها ألا وهو الشيب.وإذا كان من حق " البوصيري " أن يتحدث عن الشيب في " بردته " – إذ قالها وقد بلغ السبعين – [٥٠] فما بال المهدي [٥١] والجرادة [٥٢] وهما لا يزالان في الأربعينات [٥٣] أو بعدها بقليل – هل نقول غلبة التقليد قادتهم إلى هذا الفخ، الذي نجا منه باكثير فاستعاض بالشيب الشباب وتحدث عنه.[٥٤]

ونخلص من الحديث عن ذلك إلى القول بأنهم– جميعهم – لا تركوا القديم ولا أدركوا الجديد ولا تركوه بل ضلوا بينهما تائهين.

ثالثاً : حسن التخلص

ويعني الانتقال من المقدمة إلى الفكرة الأساسية، والدقة في الخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها. [٥٥]

ولنتابع معارضي البردة وكيف توصلوا إلى فكرتهم الأساسية وهي المديح النبوي وسنبدأ من "وحي البردة "لجرادة " :

اتخذ جرادة من لوم نفسه على المعاصي مدخلاً للوصول إلى " الله " (ب ٤٢–٤٣) مظهراً ثقته بسعة عفو الله، ومقدماً له التسابيح والإبتهالات (ب ٤٤– ٤٦) والإنتقال

---

(48) انظر : نظام البردة (ب ٣٨ – ٤٢) .

(49) الأبيات (١٨– ٢٢) .

(50) انظر: شعر البوصيري دراسة فنية – ص ١٦٧ .

(51) انظر: الأبيات (١٤ – ١٦) .

(52) انظر: الأبيات (٢٧ ، ٢٨) .

(53) يقول جرادة: الأربعون تحل اليوم عقدتها * في جانب من حياتي غير منسجم

(54) انظر الأبيات (٢٩ – ٣٣) .

(55) انظر: شعر البوصيري دراسة فنية– ص١٨٥، وهي عند ابن رشيق ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى(العمدة ١/ ٢٣٧) .

إلى الرسول ﷺ لإهدائه لأهل الأرض ذلك النور الذي " محا غياهب ليل الجهل والعتم " في قوله : (ب ٤٦، ٤٧)

سبـــحانه من رفـيق بالعباد قـضـى أن لا يـنال بريئاً وزر مجتـرم

أهدى إلى الأرض في داجي العصور سنى محا غياهب ليـل الجهـل والعتم

ومن ثم أمسك بطرف الخيط الذي سيوصله إلى غرضه : (٥٦)

محمداً خير من هزت رسالته قلب البرية من عرب ومن عجم

ونثني بـ " نسج البردة " لمهدي أمين :

اتخذ المهدي من حديثه عن الحب مدخلاً للتغني بحب " الله " في قوله:(ب٢١)

يسمو الهوى إن علا المحبوب في عظم وليس حباً كحب الله في العظـم

وبذلك استطاع أن يصل إلى المصدر الذي سيوصله إلى غرضه رابطاً بين حب الله وحب رسوله : (٥٧)

وهـل كحـب رسـول الله فـي شـرف وحبه باب حب الخالق الحـكم

ويصل إلى حضرة الحبيب (حبيبه) بعد ثلاث أبيات من التغني بسيد الوجود، ليقف في حضرته مخاطباً طالباً الصفح عنه لتقصيره عن بلوغ المدى في مديحه ﷺ : (٥٨)

يا سيدي يا رسول الله مـعذرةً إذا مقامك أوهى بالقريض فمـي

فما ذلك التقصير إلا من المهابة والغشية بالنور : (٥٩)

فقد غشاني جلال النور مؤتلقاً حتى عشى بصري منه كمثل عمى

ولـو استمر المهدي في حضرة الحبيب لكان الفتح أعظم، لكنه سرعان ما انصرف عـن حضـرته(ب ٣٤)، ليعود إلى صيغة الغائب سارداً واصفاً وحاكياً. ولن يحتاج إلى جهد كبير لو استمر في حالة خطاب للحضرة النبوية، ولن يتطلب الأمر منه سوى تغيير " له " إلى " لكم " في البيتين (٣٤، ٣٥).

---

(56) ب (٤٨) .

(57) ب (٢٦) .

(58) ب (٣٠) .

(59) ب (٣١) .

ونختم بباكثير في " نظام البردة " :

ولعله الوحيد الذي سنقف عنده أطول، وستكون الرحلة معه أمتع. ذلك لأنه هو أراد الاستمتاع بهذه الرحلة، وبكل لحظة منها ولم يرد الدخول المفاجئ العجول إلى حضرة الحبيب.

باكثير الفنان الماهر أعطى اللحظات الجميلة حقها. ذلك أنه كان يستحضر كل مشاعر الوجد والحب والشوق للمثول بين يدي الحبيب في رحلة حقيقية بالجسد والروح والفكر، على عكس رفيقيه. (٦٠)

واتخذ من مأساته، وحزنه، وانقطاع آماله – التي تكثفت في المقدمة – مدخلاً للوصول إلى الله، وحسم التردد والانكفاء بسبب تلك المثبطات وعقداً للعزم على الإقدام لبناء حياة جديدة، خاصة وهو ما يزال في سن الشباب وعليه أن يتخلص من اليأس :

فما وقوفك مشدوهاً تردد ما بين النكوص على الأعقاب والقُدُم؟ (٦١)

لا بد من الاختيار، ولا بد من الوصول إلى أنوار الله المشعة في حرمه الآمن " مكة " (٦٢). ويتم استدعاء ذكريات " طه " الحبيب " في " بطحاء مكة " (٦٣)، التي تستثير الأشواق والمواجد، وشد الرحال : (٦٤)

فاجمع متاعك واركب ظهر سابحة هول تسير بلا رحلٍ ولا لجم

ومن هنا تبدأ رحلته السريعة واقعاً، المتأنية المتملية فناً، فبالرغم من سرعة سير السيارة التي ركبها إلا أنه لم ينقلنا مباشرة إلى حضرة الحبيب – كما نقلنا معاصروه – بل هيأ للأمر من بعيد وعلى مراحل ثلاث تبدأ من " طيبة " مدينة النبي: (٦٥)

حتى إذا وجدت عيناك نفسك في ربوع " طيبة " ذات المنهل الشبم

---

(60) انظر ص ٤٧ من نظام البردة .

(61) أى بين الإحجام والإقدام .

(62) ب (٣٥) .

(63) ب (٣٧) .

(64) ب (٣٨) .

(65) ب (٤٣) .

ثم المسجد النبوي : [٦٦]

فيمم (المسجد الميمون) في أدب بقلب مدكر في ثغر مبتسم

وأخيراً : " الروضة الشريفة " حيث قبر أحب الخلائق : [٦٧]

واعمد إلى " الروضة " الغنا فحيّ بها خير الخلائق من عرب ومن عجم

وهناك ستمثل أمام الحبيب وستكون وجهاً لوجه مع صاحب الرحلة، وهناك ستلقي عليه التحية وتضع الأوزار) : [٦٨]

قل السلام على فخر الوجود، على خير النبيين، طه المفرد العلم

وبعرض ذلك كله على الأصل البوصيري يلاحظ :

- أخذ جرادة لمدخل البوصيري في الدخول إلى الحضرة النبوية عن طريق لوم النفس على العصيان. [٦٩]
- أنهم (المعارضون) تجاوزوا الأصل المعارض بالعودة إلى " المرسل " قبل الوصول إلى " الرسول " :

البردة : الشاعر ← الرسول

معارضاتها: الشاعر ← المرسل ← الرسول

- أخذ المهدي من البوصيري قصر لحظة المثول بين يدي الرسول ﷺ ومخاطبته، وانصرف عن الخطاب إلى الغيبة، كما انصرف صاحبه إلى ضمير المتكلمين "نبينا". [٧٠]
- فلسفة المكان لدى بالكثير برزت عند وصوله إلى الحضرة المحمدية، على عكس صاحب الأصل الذي ابتدأ بها مبكراً في مطلع قصيدته، ولعل باكثير وظف الرمز المكاني ودلالته الدينية بشكل أقوى وأظهر.

---

(66) ب (٤٤) .

(67) ب (٤٥) .

(68) ب (٤٦) .

(69) البردة (٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

(70) ب (٣٥) .

- يحمد للمهدي تفرغه لحضرة النبي ﷺ ونفوره من التغني بغيره ولغيره، وتركه الحب الغزلي – مع قدرته عليه وبراعته فيه – إلى الحب النبوي، لغلبة شوقه إليه ووجده فيه :[٧١]

وهـل كحب رسـول الله في شـرف وحبـه بـاب حب الخالـق الحكـم

- كما يحمد له أنه الوحيد – بين الأصل والمعارضتين – من وقف أمام حضرة المصطفى مشافهةً : (ياسيدي يا رسول الله...) وخاطبه عن قرب : [٧٢]

كأننـي حينما أبغـي المـديح لكـم كمن يحاول غرف البـحر بالقلـم

وهو هنا بقدر ابتعاده عن الأصل (البوصيري) يقترب من البردة (أصل الأصل)عند كعب بن زهير. [٧٣]

رابعاً : الختام

هـو آخـر القصـيدة وآخر ما يبقى في الأسماع " وسبيله أن يكون محكماً لا يمكن الـزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخـر قفلاً عليه " [٧٤]، وبالتأمل في خواتيم المعارضات يلاحظ على مستوى الإطالة أو الاختصار :

- خاتمة " نظام البردة " لباكثيـر = ٤٢ بيتاً
- خاتمة " وحي البردة " لجرادة = ٥ أبيات
- خاتمة " نسج البردة " لمهدي = ٢٣ بيتاً
- خاتمة " الـبـــــــردة " = ٢١ بيتاً

وبهذا يتبين :

---

(71) ب (٢٦) .

(72) ب (٣٢) .

(73) كما في قوله : مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها .....

* على اعتبار المقياس التالي :

المقتضبة من (١ – ٢٠)، والمتوسطة من (٢١ – ٣٠)، المضطردة من (٣١ – ٥٠) .

(74) العمدة ١ / ٢٣٩ .

الاقتضاب الشديد في خاتمة " وحي البردة "، والتوسط لدى " النسج "، والإطالة في " نظام البردة ".

وبموازنتها بالمقدمة يتكون الجدول التالي : *

	المقدمة	الخاتمة	
نظام البردة	٣٣	٤٢	(مقدمة مضطردة، خاتمة مضطردة)
وحي البردة	٤٠	٥	(مقدمة مضطردة، خاتمة مقتضبة)
نسج البردة	١٩	٢٣	(مقدمة مقتضبة، خاتمة متوسطة)
البـــــردة	٢٨	٢١	(مقدمة متوسطة، خاتمة متوسطة)

وباستعراض محتوى الخواتم ستتبين الدلالات من تلك الإحصائيات.

خاتمة نظام البردة لباكثير :

استغرقت(٤٢) بيتاً (٢١٤ – ٢٥٦)، خلصت من وصف الرسول بجميل الصفات إلى مآسي أمة الإسلام في العصر الحاضر، واتخذت من القسم به ﷺ مخلصاً للختام : [٧٥]

أقسمت باسمك يا أعلى الورى شرفاً لو جـــاز تقديس غير الله بالقســـم

لقد غـــدت أمـــة الإســـلام واهـــلة منها القلوب فأضحت (قصعة الأمم)

تخلص حسن، وانتقال سلس من الماضي إلى الحاضر، وينتقل بقوة معالجة، [٧٦] وطول نفس، ويتمحور همه بشكل مستقل حول أمته [٧٧] التي تستغرق الأبيات (٢١٤-٢٣٩) أي أكثر من نصف الخاتمة وهو ما يعطي دلالة واضحة على أن أمة الشاعر هي بؤرة اهتمامه وأن سعادتها سعادة له وشقاءها شقاء له : [٧٨]

إني الســـعيد إذا ما أمتي ســـعدت حالاً، وفي ذلها ذلي ومهتضـــــمي

ثـــم ينـــتقل بعـــد ذلـــك إلـــى الدعـــاء، يطلب فيه من الله أن يرزقه هدايـــة رسوله وعزيمـــته(ب٢٤٠)، وأن يـــرزقه شفاعته (٢٤١) وأن يسقيه من حوضه (٢٤٢) وأن

---

(75) ب (٢١٤، ٢١٥) .

(76) على عكس المقدمة التي دخلها ضعيفاً قلقاً متشائماً .

(77) على عكس المقدمة التي دارت حول نفسه وزوجه ويأسه .

(78) ب (٢٣٣) .

يغفـر ذنوبه وأسرته جميعاً بفضل رسوله (٢٤٣) ثم الصلاة عليه(٢٤٤) والترضي عن الصـديق [٧٩] وعمر [٨٠] وعثمان [٨١] وعلي [٨٢]، يعود بعدهم للسلام على الحبيب من جديـد، وعلى آله : فاطمة البتول وخديجة الكبرى والحسن والحسين وأزواجه ﷺ [٨٣]، ويعود أخيراً لتحية الرسول العظيم محمد ﷺ التحية الأخيرة قبل أن يكف قلمه، ويستأذن رسوله بالفراق. [٨٤]

كمـا بـدأ – فـي المقدمة – وجلاً هياباً من الدخول إلى حضرة النبي فقدم لها تلك المقدمـة الطويلـة، ودخلها متملياً متأنياً عبر ثلاث وثلاثين بيتاً، رغب عن الخروج من حضرة النبي– في الخاتمة – فاسترسل، وكلما سلم سلام فراق عاد، حتى بلغت تسليماته عليه ﷺ ثلاث تسليمات. [٨٥] باكثير شاعر يقظ لحال أمته، غارقاً في حب رسوله. تأتي البيتان الأخيرتان في نظامه احتذاء وتقليداً في بنائهما للبوصيري. [٨٦]

– خاتمة " وحي البردة " لجرادة :

---

(79) بيتين (٢٤٥ ، ٢٤٦) .

(80) بيتين (٢٤٧ ، ٢٤٨) .

(81) بيتين (٢٤٩ ، ٢٥٠) .

(82) بيتين (٢٥١ ، ٢٥٢) .

(83) بيتين (٢٥٣ ، ٢٥٤) .

(84)بيتان (٢٥٥ ، ٢٥٦) .

(85) الأبيات (٢٤٤ ، ٢٠٣ ، ٢٥٥) . اختتم البوصيري بردته بتسليمة واحدة .

(86) في قوله : (٢٥٥ ، ٢٥٦)

واختم بمسـك تحيـات يفوح على ... " محمد " خير مبدوء ومختتم

ما أومض البرق في الظلماء من إضم ... وما عطا الريم بين البان والعلم

فهي من قول البوصيري : (١٥٩ ، ١٦٠)

وائذن لسحـب صلاة مـنك دائمة ... على النبي بمنـهل ومنسجـم

مارنحت عذبات البان ريح صَبـا ... وأطرب العيس حادي العيس بالنغم

ختم محمد سعيد جرادة وحي بردته بخمس أبيات (١٥٦ – ١٦١) وعلى الرغم من هذا الاقتضاب البين في الخاتمة، إلا أن تخلصه كان موفقاً، فقد كان آخر موضوع يتناوله قبل الختام، هو أثر أصحاب الرسول في نشر الإسلام وقيادة الأمم، وفتح البلاد، وتعليم الحضارات على مر العصور : (٨٧)

شادت بهم أمة الإسلام مملكةً أرقى من النجم في أوج لها سنم
من روحها قبست روما حضارتها وألفت مرجع الأحكام والنظم
ومن سناها أوروبا أدركت أثراً في العلم قد كان سراً غامض الكتم

ينتقل بعده إلى أمته في العصر الحاضر ؛ لكنه لا يرسم صورة أمته كما رسمها باكثير (٨٨)، ولعل الفرق كبير بين حال الأمة في عصر باكثير (مطلع القرن) (١٩٣٤) وحالها في عصر جرادة (النصف الثاني من القرن العشرين ١٩٦٧)، فلئن كانت في مطلع القرن " قصعة الأمم " " والمقلدة للغرب " و " الغارقة في عداواتها " فإنها في مطلع النصف الثاني منه، نجدها وقد تأججت الثورات فيها وتخلصت من قيد الغرب، وسارت في طريق التوحد، ومن ثم لم يبق إلا الدعاء لها بالتوفيق (٨٩).

يارب والشرق هب اليوم منتفضاً يرنو لماضيه في عزم وفي شمم
ما ثار بغياً وعدواناً على أحدٍ بل ثار للمثل العليا وللقيم

بعد ذلك يختم بالدعاء بتوفيق هذه الأمة (١٦٠) ويختم بالصلاة والسلام على الحبيب:(١٦١)

وامنح صلاتك والتسليم من شرفت بفضله أمة الإسلام في الأمم

– خاتمة " نسج البردة " لمهدي أمين :

إذا اقتضب مهدي أمين في مفتتحه حياءً من الدخول إلى مقام الرسول بهوى غيره: (٩٠)

---

(87) البيتان (١٥٣ – ١٥٥) .

(88) بألوان قاتمة .

(89) لعله قالها قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ م .

(90) ب(٢٩) .

فما هوى جـيرة الدنيا بفتنتهـا في القدر مثل هوى من حل بالحرم

فقـد أمـتع واسـتمتع في الختام، فهو وإن دخل عجولاً مستعجلاً الوقوف بين يدي الحبيب والوصول إلى أعتابه فقد تأنى في طلب الإذن بالخروج، فاستغرق في الخروج " ٢٣" بيتاً.

من المهم ذكر وجه التشابه في خواتيم المعارضات بين (النظام والوحي والنسج) أو بالـتحديد وجـه الشبه في نقطة الخلوص إلى الخاتمة وهي " مآل الأمة، وحال الأمة " والتـي اتفـق جمـيعهم علـى اعتبارها محطة هبوط قبل المغادرة في هذا الصدد نجد المهدي ينسج على " نول " سابقيه، غير أنه بباكثير أشبه، فهو يبعث ما ذكره باكثير من ضعف الأمة والهوان الذي تعيشه في نهاية القرن العشرين متجاوزاً جرادة الذي وصف الأمة في وسط القرن بالنهوض والتحفز

لكـن للمهـدي لفـتات فهو لا يود أن يسيطر جو قاتم على ختام بردته، وفي نهاية الـزيارة الكريمة لخير البشر، بل يريد أن يخرج منها متحفزاً، فالتقى بنقطة ضوء تمثل شعاع الأمل الذي يمكن أن يصير نقطة تحول وتغير في اتجاه وجود الأمة وميلادها من جديد إنها " الانتفاضة " وجهود " أطفال الحجارة " [٩١] :

لولا شـباب بليلٍ حالكٍ بزغـوا وبانتفاضٍ بعزم الأسد في الأجم

قد حققوا قول طه في نبوءتـه عنهم كما وردت من صادق الكلم

في مقدس وعلى أكنافها ظهروا ولا يظـرهمو خذلان منهـزم

جاءوا بشارة إحيـاءٍ لأمتنـا وللأعادي نذيـر الخسر والشؤم

كأنما ويهود والحجار وهـم ملائك تقذف الشيطان بالرجـم

يارب مكن لهم سدد لرميتهـم ورد أعداءهم في سوء مختتـم

ينتقل بعدها للدعاء للدين والأمة، ويطلب شفاعة الرسول خاصة واسمه " المهدي " كاسمه. [٩٢]، ثم يصلي ويسلم على النبي وآله وصحبه، وينهي القصيدة بالتاريخ لسنة قول القصيدة بالسنة الهجرية (١٤٢٢ هـ). [٩٣]

---

(91) البيتان (٢٠٣ - ٢٠٨) .

(92) ب (٢١٣) وهو تقليد للبوصيري (ب ١٤٦) .

المبحث الثاني

أفكار المعارضات وتأثرها بالبردة

إذا كانت " البردة " هي الأنموذج الأمثل للمدائح النبوية، فمن المناسب اعتبارها المعيار الذي تقاس به سائر المعارضات، ونجدنا هنا في حديثنا عن الأفكار مشدودين إلى مدى اتباع واحتذاء المعارضات المعاصرة للبردة في بناء أفكار الغرض الرئيسي لقصيدة المديح النبوي وترتيبها، وعلى أي منها كان التركيز أكثر ؟ وهل اتخذت الأفكار مساحات متوازنة في القصيدة،أم طغت فكرة على أخرى ؟ ما أوجه الشبه بين البردة ومعارضاتها في هذا الموضوع ؟ وما أوجه الافتراق ؟ هل ظهر أثر العصر في المعالجات المعاصرة أو أن التقليد المحض هو الغالب ؟ وأيضاً على مستوى المعارضات فيما بينها، لا بد من وجود نقاط التقاء وافتراق، كما أنه لا يمكن إغفال مدى تبادل التأثر والتأثير بينها. هذا – وغيره – سيتيح لنا فرصة التعرف على العلاقات القائمة بين نص وآخر من هذه النصوص،

كما وسيعطينا المفاتيح التي من خلالها وبها سنتمكن من الولوج إلى عالم النصوص : موضوع الدراسة، ومن ثم الخروج بتصور كامل شامل ودقيق لمجمل ما أثرناه – وأشرنا إليه – آنفاً.

ولنتابع ذلك في ضوء مجموعة من العناصر هي :

١- الإطار العام الذي صيغت به الأفكار

وأعني به : الصيغة التي رسمت بها أفكار الغرض الأساسي في قصيدة المديح النبوي، وكذا مدخل التناول والمعالجة، والرؤية الخاصة بكل شاعر على حدة.

وفي ضوء دراستنا للأصل المحتذى والمعارضات المحتذية، نجد أن هناك تبايناً ملحوظاً بين الأصل ومعارضاته من جهه، والمعارضات بعضها مع بعض.

---

(93) ومن تعز العلا أرختها بهدى من احتمي بحمى ركن الشفيع حمى

١٢ ٩٠ / ٤٥٠ / ٥١ / ٢٧٠ / ٤٩١ / ٥٨ وهو نمط من تقليد الأقدمين .

دخل البوصيري إلى أفكار غرضه من مدخل روحي عاطفي، وبنى أفكار مديحه النبوي في ضوء الخلفية الصوفية التي كان يستمدها من علاقات أكيدة مع كبار مشائخ الطرق الصوفية في عصره، وهو ما يدحض تماماً رأي بعض النقاد في إنكار صوفية البوصيري. (٩٤)

وحين نطالع النماذج الثلاثة – عينة الدراسة – لانكاد – بل لا – نجد أى اتصال بين البردة وبينها في هذا المدخل، فنظام البردة تكاد تغلب عليه المعالجة السياسية، فمدخلها – إذن – سياسي أصلاً، وإن امتزج بطبيعة الحال ولضرورة الموضوع – بالصبغة الدينية. فيما يظهر عامل " المناسباتية " كإطار عام لصياغة " وحي البردة "، فمدخلها إذن : " احتفالي " بحت، عكس واقعه على طريقة المعالجة، وأسلوب التناول، ومنطق العرض. بينما تنتحى ثالثتها (نسج البردة) نحو التفسير الحركي للسيرة النبوية، متأثرة بالفكر الحركي المعاصر ورؤيته لأحداث ووقائع السيرة النبوية كما هي عند البوطي والسباعي وغيرهما.

ومن هنا يتبين وجود بون شاسع بين البوصيري ومعارضيه من شعراء اليمن المعاصرين – جماعة العينة – في الصبغة التي صيغت بها أفكار الغرض الأساسي (المديح النبوي) في معارضاتهم، وفي مداخل التناول والمعالجة لهذه الأفكار.

٢ – محاور الأفكار :

تدور أفكار كل نص من نصوص الدراسة حول محور أو عدة محاور، بحسب رؤيتها للمعالجـــة، واختيارها لأسلوبها سواء بالتوزيع المتوازن، أو اتخاذ بؤرة تركيز واحدة. ففـيما تركـزت معالجة البوصيري لمدحته وصياغته لأفكارها حول بؤرة اهتمام واحدة (وتـبعه في هذا مهدي أمين)، توزعت أفكـــار معارضَيـــه الأخرَين (باكثير وجرادة) حول عدة بؤر، بتوازن بادٍ عند الأول، وتوازن نسبي عند جرادة. وتتوضح فيما يلي :

– البوصيري / مهدي : الشاعـر ⟵ الرسول

---

(94) ومـنهم د. قرشي عباس دندراوي انظر مناقشته لهذا الموضوع في كتابه : شعر البوصيري.. دراسة فنية –ص (١٦٧ – ١٧١)

- بـاكثيـر : الشاعـر ← الرسول ← الرسالة ← المرسـل
- جـرادة : الشاعـر ← الرسول ← الرسالة ← الصحابة

فبؤرة التركيز في النموذجين الأولين (البوصيري / مهدي) تدور حول محور واحد هو " الرسول " بينما برز التوازن في توزيع محاور المعالجة لدى باكثير، وتبعه في ذلك جرادة، وإن بمحورية متعددة أقل تركيـــزاً وأكثر تشتتا. ومن ثم يمكن الاستدلال على احتذاء المهدي للبوصيري، واحتذاء جرادة لباكثير في هذا التبئير والتمحور.

٣- الأفكـــار التي احتوتها البردة ومعارضاتها (المحتوى):

بتتبع أفكار البردة يتأيد ما أوضحناه سابقاً من محورية المعالجة، فأفكار البردة تدور حول محور واحد هو " الرسول " ولا نكاد نجد في الأفكار ما يخل بهذا الاستنتاج [٩٥]، ومن المهم التعرف على الأفكار التي تمحورت حولها بؤرة اهتمام الشاعر وهي " الرسول ". فعلى أى جانب من جوانب شخصية الرسول اتكأت البردة ؟ واضح أن المدخل سيرسم ملامح الفصول، وعليه وبما أن المدخل " صوفي " بحت في" البردة "، فستكون المعالجة صوفية بحتة، وسترتكز على أفكار ورؤى الصوفية في نظرتهم للرسول ﷺ والتي منها :

١- أن الرسول أصل الوجود، فلولاه ما كان الوجود.
٢- الاعتماد على شفاعة الرسول في النجاة يوم القيامة.
٣- فضل الرسول على الأنبياء وتقدمه عليهم.
٤- اكتمال محاسنه وتمام خَلقَه وخُلُقه والتركيز على صفات الزهد والعبادة لديه.
٥- الإغراق في وصف الرسول.
٦- أن الرسل أخذوا من نوره فهو أصل الرسالات من لدن آدم.

---

(95) باستثناء التأصيل لامتداح القرآن الكريم وفصاحته في المدائح النبوية (١٣) بيتاً ، ومـــدح الصـــحابة ودورهم في الدفاع عن الإسلام والجهاد مع الرسول (١٥ بيتاً) وهو اتباع واحتذاء لمدحة كعب بن زهير.

٧- إظهار كراماته والحديث عنها والتركيز عليها.

٨- معجزاته.

٩- فضل زيارته.

١٠- التوسل به.

هذه إذن هي أهم الأفكار التي دارت حول محور " الرسول " في " البردة " البوصيرية. وبموازنتها بشبيهتها في اختيار المحور، وهي " نسج البردة ". يمكن توضيح الفرق بين المعالجتين : ذات المدخل الصوفي (البوصيري) وذات المدخل الحركي (مهدي أمين).

هذه الأفكار التي دارت في " نسج البردة " حول محور " الرسول " :

١- أخلاقه وأسماؤه

٢- نهجه في رعاية حق الطفولة والرفق بالحيوان وحقوق الإنسان

٣- نهجه في الحرية والمساواة والشورى

٤- دولته وهدايتها للأمم

٥- الإحتكام إليه في وضع الحجر الأسود

٦- مرحلة الدعوة السرية

٧- مرحلة الدعوة الجهرية

٨- مروره بسلسلة من المحن (تكذيب المشركين له - أذى أهل الطائف - حصار الشعب - عام الحزن).

٩- سفير الرسول " مصعب " إلى المدينة.

١٠- إقامة أركان الدولة الثلاثة في المدينة (بناء المسجد، المؤاخاة، " الحلف مع اليهود ")

لكن وبالرغم من هذه الرؤية الحركية للسيرة لدى مهدي أمين لاتخلوأفكار مدحته من ملامح تلتقي فيها مع البردة خاصة في: فضل النبي وصفاته، تنقله في الأصلاب، والموقف من المعجزات، [٩٦] وهو مظنة للتأثر بالمدخل الصوفي لدى مهدي أمين.

الوضع يختلف تماماً لدى باكثير وجرادة، فباكثير اعتمد في أفكار " نظام البردة " على خلفية سياسية فكرية – كما أسلفنا آنفاً – ومن ثم ترتبت أفكاره في ضوء هذا الإهتمام. ويحتشد سياسياً من أول وهلة، ويظهر منهجه (الفكري / السياسي)... عند تناوله لأول فكرة في غرضه الرئيسي – حيث نلتقي به من أول معالجة، يتحدث عن رسالة المسجد في الاسلام، فهو ليس داراً للعبادة والعلم فحسب، بل كان النبي ﷺ يمارس فيه كل ما يتعلق بإدارة الدولة من قضاء بين الناس، وتجهيز للجيوش الغازية، كما أنه كان يعقد فيه جلسات الشورى مع أصحابه، ويستقبل فيه الوفود، ومنه يبعث بالرسائل للملوك والزعماء. أما إن تعمقنا أكثر فسنجد اهتمامه الكبير بدور أمة العرب وفضلها واختيار الله لها وهو توجه قومي مبكر لدى الشاعر، كما سنجد ذلك العرض لمزايا التشريع الإسلامي وشموليته في مواجهة الأفكار الغربية الفاسدة والتشريعات الوضعية الفاشلة، ويمتزج هذا التوجه (الفكري / السياسي) لديه بالعصرية الطاغية على معالجاته وتناوله للقضايا – من وجهة نظر عصرية – ومن ذلك مثلاً رده على بعض الشبهات التي أثيرت في عصره مثل موقف الإسلام من المرأة، والرق، والأسرى، الدفاع عن القرآن وصدق نزوله من عند الله، وإثبات صدق النبي وسرد دلائل نبوته، ورد الشبه التي أثيرت حول عدد زوجات النبي ﷺ، وتعرضه للكتب السابقة وإظهار تحريفها.

وليس بخاف اصطباغ رؤيته بصبغة سلفية في مواجهة الرؤيا الصوفية التي حُملتها " البردة " الأم، بل ونجده أيضاً يتجاوز الإتجاه السلفي إلى الإتجاه العقلي في إنكار بعض ما ورد في السيرة من حوادث ثابتة كحادثة السحر التي تعرض لها النبي (٢١٠، ٢١٣

---

(96) الفارق الجوهري بين حديث البردة عن " الرسول" وحديث " نسج البردة " أن الأخيرة لم تقف عند حد وصف الرسول ومعجزاته وفضله ، بل سردت في إطار – السيرة الحركية – كما ذكرنا آنفاً – كل تفاصيل سيرته من الميلاد إلى الوفاة .

)، وموقفه السلبي من خوارق العادات (١١٥، ١١٦)، وعدم اهتمامه بالمعجزات أو الإعتداد بها (١٤٦).

ويظهر أثر " باكثير " جلياً في " جرادة "، إن على المستوى(السياسي / الفكري) وإن على المستوى (السلفي / العقلي). وبما أن المدخل الأساسي لوحي بردة جرادة هو المدخل المناسباتي فلا بأس من التعريج عليه وسرد بعض الدلائل المؤيدة له – قبل الدخول في الحديث عن الموازنة بين " النظام " و " الوحي ".

بالتأمل في الأفكار الرئيسية للسيرة عند جرادة نجدها تتكثف في ثلاث حوادث هي: الإسراء والمعراج (١٦ بيتاً)، الهجرة (٦ أبيات)، المولد (٥ أبيات) وهي المناسبات الثلاث التي تحتفل بها الأمة في تواريخها المحددة لها (٢٧ رجب، ١ محرم، ١٢ربيع الأول)، وما عدا ذلك فقد مر على السيرة مرور الكرام (بيت أو اثنين لكل حدث).

وعود على بدء في ذكر التأثر الظاهر لصاحب " وحي البردة " بباكثير نجد أخذ جرادة عن باكثير منهجه العقلي في التعامل مع المعجزات والخوارق لكن ليس بجرأة باكثير بل بالتعامل السلبي معها فقد أغفل ذكر هذه الفكرة أو التعرض لها مطلقاً، وفي منحى تأثره بعصرية الأفكار الباكثيرية نجد معالجته لشبهة انتشار الإسلام بالسيف أو بالقتال، وعرضه لفكرة الحرب في الإسلام، وإلتزام الرسول بمبادئها المثلى في كل الأحوال، وعدم اللجوء إليها إلا بعد استنفاذ كل الوسائل السلمية.

ونعد من هذا القبيل أيضاً عرضه لفكرة الإسلام الصافي الداعي إلى الحرية وكسر أغلال العبودية، ومقارنته بين هذه المبادئ التي أتى بها الإسلام وبين العبودية التي ترتكس فيه أوروبا في ذلك العصر. والاعتداد بالحضارة الإسلامية التي كانت منار هداية للعالم أجمع.

وبهذا يتضح المحتوى العام لأفكار " النظام " و " الوحي " عند " باكثير " و " جرادة " والذي لم يتوقف عند محور واحد – كما هو عند البوصيري ومهدي [٩٧] – بل انداح في عدة محاور هي :

الرسول ⟵ الرسالة ⟵ المرسل (عند باكثير)

---

(97) البوصيري : الرسول وأوصافه ، مهدي : الرسول وسيرته .

الرسول ◄—— الرسالة ◄—— الصحابة (عند جرادة)

٤- الترتيب السردي للأفكار ووقائع السيرة النبوية :

لم يهتم البوصيري بسرد الوقائع ومجريات السيرة النبوية ؛ فقد شغله الحبيب الأعظم ﷺ عن الإهتمام بالوقائع والأحداث والمغازي، وقعد متملياً بحبيبه يصفه ويتغنى فيه، ويذكر فضله، يقدمه على الأنبياء، ويصف قربه من الله، ويتحدث ــ بإغراق ــ عن صفاته، وأنه أصل الوجود، وأن معجزاته لا تضارع مقامه. وينتقي من السيرة ووقائعها كل ما يعزز هذه الرؤية ويقويها ويتفق معها، بل ويطوع أحداث السيرة ويوجهها نحو ما يريد إثباته من خلال فضائل الرسول وتقدمه على الأنبياء أو ما يؤيد معجزاته وكراماته ودلائل نبوته.

ولما كان " المهدي " هو الأكثر إحتذاء للبوصيري، في الدوران حول محور واحد هو " الرسول " فقد أفرغ طاقته ليس على الطريقة البوصيرية المذكورة آنفاً ــ بل على طريقته الخاصة. فقد تغنى بالرسول ودار حوله، وحشد نفسه له ، من خلال أحداث ووقائع سيرته، إبتداء من المولد وحتى الوفاة، فلا يكاد يترك شيئاً من سيرته، فكأنه ينقل أحداثها من سيرة ابن هشام بترتيبها التاريخي ووقائعها المتتابعة دون توارٍ أو إلتواء. ومن ثم يأتي محتوى " نسج البردة " مفرغاً إلا من سيرة الرسول. وفي المقابل نلتقي بصاحب " نظام البردة " ومحتواه متعدد المحاور، ولهذا فقد كان نصيب السيرة النبوية هو الأنزر في محتوى مدحته، إذ لم تشكل سوى جزء يسير من محور " الرسول " استغرقت الأبيات من (٥٩ – ٧٩) ودارت حول : نسبه وأمه ومولده ونشأته.. لتنتهي عند زواجه ﷺ، ثم لا شيء بعد ذلك.

ولا تختلف " وحي البردة " عن هذا " النظام " إلا في التشتت للوقائع والأحداث وتوزعها في أرجاء المدحة.

فمن حادثة الأسراء والمعراج التي جاءت في أول المدحة (٦١ – ٧٦) ننتقل إلى حال العرب والغرب قبل البعثة،(٨٧ – ٩١) ثم انتقال إلى حمل الرسول للدعوة وموقف قريش منه (٩٢ – ١٠٦)، يقفز منها إلى الهجرة(١٠٧-١١٢)، ولا غرابة أن يعود بعد هذا السرد المتنقل إلى أول حدث وهو المولد النبوي (١١٣ – ١١٧)، ويستمر في تراجعه الزمني إلى الوراء ليعيدنا إلى البشارات السابقة (١١٨ – ١٢٠)، وهكذا يفتتح

الـنظام التتابعي لسرد أحداث السيرة عند جرادة – بالإسراء والمعراج ليختم بالبشارات السابقة تاركاً التواريخ الزمنية مترنحة وسط هذا التقلب السردي للوقائع والأحداث.

نخلص من هذا السرد والعرض : إلى أن مهدي أمين في " نسج البردة " هو الوحيد الذي التزم نظام التتابع الزمني لأحداث السيرة ووقائعها.

٥- وصف الرسـول :

يظهـر الانسـجام جلياً بين " البردة " و " نسجها " في التركيز على وصف الرسول وتفـريغ المدحة إلا من الحديث عنه وتناول صفاته وسيرته، وهذا ما ذكرناه آنفاً [٩٨]، وهـنا – في وصف الرسول – يتأيد استنتاجنا في اقتراب " المهدي " أكثر من صاحبيه من الأصل البوصيري، ولا تخفى المتابعة والاحتذاء. ولعل مدخل العجز عن بلوغ وصف الحبيـب يؤيـد مذهبـنا هذا، إذ نجد " المهدي " آخذاً في مسارب البوصيري تماماً في تصوير عجز قوافيه عن الوفاء بحق الرسول الكريم في قوله : [٩٩]

يا سيدي يا رسول الله مـعذرةً ... إذا مقامك أوهى بالقريـض فمـى

فقد غشاني جلال النور مؤتلقـاً ... حتى عشى بصري منه كمثل عمى

كأنني حينمـا أبغى المديح لـم ... كمن يحاول غرف البحـر بالقلـم

ومن يحيط بأوصاف الكمال لمن ... أخلاقه فـوق ما بالفضل من شيم

فهي هي عند البوصيري في قوله : [١٠٠]

فـإن فضل رسـول الله ليس له ... حـد فيعربَ عنـه ناطق بفـم

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى ... في القرب والبعد فيه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بُعُـدٍ ... صغـيرة وتكل الطرف من أمـم

وكيف يدرك في الدنـيا حقيقتـه ... قـوم نيام تسلـوا عنـه بالحلم

---

(98) في مبحث المحاور .

(99) الأبيات : (٣٠ – ٣٣) .

(100) الأبـيات : (٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠) ، (٩٠) في قوله : فما تطاول آمال المديح إلى ... ما فيه من كرم الأخلاق والشيم

فـالفم عاجـز واهٍ فـي النصـين، وعشى البصر عند مهدي هو كلال الطرف عند البوصـيري، وعدم القدرة على الإحاطة يقابلها عدم القدرة على الإدارك. فالمظنة تصبح يقيناً، فهو أخذ ظاهر وتأسٍ واضح وليس من قبيل وقع الحافر على الحافر. في المقابل لم نجد هذا الإعتراف بالعجز لدى باكثير وجرادة.

فـإذا انتقلنا إلى التدقيق في المساحة التي اقتطعتها المعارضات وخصصتها للوصف المباشر للرسول، والحديث عن صفاته ؛ فإننا نجد الشيء ذاته فحين يقتصر باكثير في " نظـام الـبردة " على " ١٨ " بيتاً في وصف الرسول، يعجز المنقب في " وحي البردة " لجـرادة عن العثور على وصف مضطرد لصاحب المدحة، وتجوزاً يمكن اعتبار الأبيات مـن (٩٥ – ٩٩) و (١٢٢، ١٢٣) و (١٣٣) من هذا القبيل. في المقابل نلقى المهدي ينسج " ٣١ " بيتاً في

وصف الرسول الكريم مقترباً – أكثر من معاصريه – من البوصيري الذي أفرد " ٣٣ " بيـتاً مـن بـردته لوصـف النبـي ﷺ.ومن المناسب تفحص محتوى الأوصاف التي استغرقتها تلك الأبيات، لنطلع على ملامح الصورة التي رسمها المحبون لمحبوبهم.

هـذا محـتوى أوصاف الرسول في " نظام البردة " : (بشره وتبسمه – يعفو ويقبل العـذر – يغضـب لله وليس لنفسه – شجاع – ثبات وقت الشدائد – كريم بلا حساب – يـرفق بالمحتاجيـن والأرامل والأيتام – يؤلف قلوب الداخلين الجدد إلى الإسلام بكرمه وعطائـه– يـتعفف عن أكل مال الغنائم ويطوي الجوع تعففاً– لم يعب طعاماً ولم ينهر خادمـاً (مـن٨٢-٩٣) متواضـع بيـن أصحابه لا يتميز عنهم – لا يسير بحراسة ولا بمرافقين – يخصف نعله ويرقع ثوبه – يعين أهله – ليس ملكاً بل رسول (٩٧ – ٩٩) لـم يكن شاعراً – ولم يكن ملكاً بل بشر فاق الملائكة بالأخلاق – معصوم من الخطايا (٢٠٧ – ٢٠٩) .

وهي (٢٣) صفة، والملاحظ عليها أنها في غالبها تستمد صورة الرسول كما وردت فـي الروايات الصحيحة من كتب السيرة، ويغلب اختياره للجانب الإنساني والاجتماعي فـي الرسـول ﷺ، وقليلاً ما تعرض للأوصاف الشخصية الخُلقية، أما الخَلقية فلم يذكر منها شيئاً.

وهذا محتوى أوصاف الرسول في " وحي البردة " :

ثـبات على الحق- هاد إلى الحق- ابتـعد عن عبـادة الأصنام والمال - خضع لله ولم يخضع لطاغية - شجاعتـه (٩٥-٩٩) متواضع يشارك الفقراء أكلهم - يحتفي به أصحابه ويبجلونه (١٢٢- ١٢٣)، وقوفه وحده وثباته في حنين (١٣٣) ومنها يتبين - علـى نزرتيها - أنها أوصاف تتعلق بمتطلبات الرسالة، ووصف واحد يتعلق بالشخصية هـو التواضع، وواضح أنه استمدها من الصورة الذهنية التي رسمها للرسول ولا مرد لها من نص أو تاريخ كما يظهر من صياغتها

وننتقل على عجلة إلى ثالثة المعارضات " نسج البردة " لنرى كيف نسج مهدي ملامح شخصية الرسول ﷺ، هذا محتوى أوصافه فيها : (أفضل الخَلق في الفضل والخُلق - لا يرد السائل ولا ينهره - بابه مفتوح للقاصدين- هو رحمة للناس - يصل الرحم والقرابة - وصف خلقه القرآن بالعظمة - قرآن يمشي - هو بشارة الرسل وميثاق النبيين - شاهد وبشير ومنذر وهاد وداع إلى الله وسراج منير - أسماؤه محمد وأحمد ومحمود وهو محمود السيرة - وهو صفوة الله من خلقه - حب الله مرتبط بحبه - وحب الله في طاعة رسوله - طاعته من طاعة الله - هو الشفيع لأمته - هو الكوثر لأرواحنا في الدنيا، وفي الأخرة سيسقينا من الكوثر بيده الكريمة - اقترن اسمه باسم رب الخلق - وتردد اسمه في الآفاق على مر الدهور - إنه هدى للعالمين - وهو الرحمة المهداه - وهو الفاتح والخاتم (٤٠ - ٥٥) - لا ند له ولا مثل في الأمم - فاق الملائكة مع كونه بشر - عبد شكور - أفضل الخَلق إيماناً وعبادة - وأحسن الناس في الاستقامة - عم هداه الورى - العظماء أمامه ذرات - هم يداوون الأعراض وهو يداوي العلة الرئيسية (الجوهر) - تجلى فيه كمال الخلق وكمال الخُلق - منطقه يأسر القلوب - ومزين حديثه بالحكمة من جوامع الكلم (٧٧-٨٤) - معصوم عن اللهو - كريم الأخلاق وهو الصادق الأمين - ارتضاه أهل مكة حكماً في وضع الحجر الأسود (٦٤-٩٧) وفيّ ودود - يحفظ الود حتى للمتوفين كما صنع مع خديجة رضي الله عنها (١٠٦-١٠٧) - تحمله أذى قريش - وصبره على الإغراء والترغيب (١١١).

وهـي (٥٢) صفة جمعت شتى نواحي صفاته : الرسالية - الخُلقية - الإجتماعية - الدينـية - الدنـيوية والأخروية - الشخصية - وهلم جرا. وبين أن القرآن أهم مصادر أوصـافه والصـياغة تشـي بهذا، كما أن للحديث النبوي وجود كبير أيضاً كمصدر من

مصـــادر صفاته، وغير خاف أيضاً استقاؤه من الشائع من أوصاف الرسول لدى العامة كمـــا لا يخفـــى أن من ضمن مصادر أوصافه" البردة "، وهو ما سنراه في هذا العرض لمحـــتوى أوصـــاف الرسول في " البردة " وهي : (قيامه الليل – صبره على الجوع – زهـــده فـــي الذهب الذي عرضته عليه الجبال – لولاه لم تخرج الدنيا من العدم هو سيد الكونين والثقلين والعرب والعجم – بر في موافقته ورفضه – هو الشفيع وقت الشدة – هـــو حبل النجاة لمن تمسك به فاق النبيين في خَلقه وخُلقه – وفي علمه وكرمه – كل الأنبياء يأخذون منه – وواقفون عند حد علمه وحكمته – هو الذي خلقه الله تام المعاني والصور – منزه عن الشريك في محاسنه – جوهر حسنه متكامل – قل فيه ما شئت ولا تتـــبع أقوال النصارى في نبيهم – قل ما شئت عن شرف ذاته – وعن عظيم قدره – لا حد لفضله – آياته تقصر عن مناسبة عظيم قدره – لو كانت مناسبة لأحيا اسمه الموتى – خاطبـــنا على قدر عقولنا في فهمه – لا يستطيع الناس فهم معناه – فقريبهم وبعيدهم عاجـــزون عـــن معرفته – كالشمس يجهل قدرها البعيد ويعجز عن وصفها القريب – لا يمكن إدراك حقيقة صفاته من أهل الغفلة والأحلام – وكل مايمكن وصفه به من قبلنا أنه بشـــر وأنـــه خير الخلق كلهم – هو نور الرسالات السابقة وآياتها – هو الشمس وهم الكواكـــب – خَلق كريم مزين بالخُلق – اشتمل بالحسن – واتسم بالبشر – يشبه الزهر فـــي الـــترف والبدر في الشرف والبحر في الكرم والدهر في الهمه – كأنه وحده جيش عرمـــرم – كلامـــه وتبسمه كأنه اللؤلؤ في صدفه – طيب تراب قبره (٢٩-٥٨) يداوي المرضـــى بالمســـح بيده – ويداوي الفقر والحاجة بها أيضاً (٨٥) – الناس تسعى إليه لتنال عطاءه [١٠٥].

وهي (٤٥) سمة، استمدها الشاعر – في الأغلب – من التراث الصوفي الذي كان مزدهراً في عصره، وتضمنتها أربعة اتجاهات :

١ – سرد الصفات التي تقوم عليها الدعوة الصوفية مثل : إحياء الليل – والصبر على الجوع – والزهد في الدنيا – التعويل في النجاة على الشفاعة بشكل ملحوظ.

٢ – تفضيله على النبيين في خَلقه وخُلقه، والأنبياء تأخذ عنه وواقفون عند حد علمه وحكمته وهو الشمس وهم الكواكب.

٣- العشق للنبي والوجد في حبه فقد اشتمل بالحسن واتسم بالبشر وهو كالزهر والبدر وتبسمه كاللؤلؤ، وتراب قبره طيب.

٤- الإغراق في وصفه : فهو منزه عن الشريك في محاسنه، آياته تقصر عن عظيم قدره، لو ناسبت آياته قدره لأحيا اسمه الموتى حين يدعى به، عجز الناس عن فهم معناه، وعن إدارك حقيقة صفاته، لولاه لم تخرج الدنيا من العدم.

واحتشـــدت فـــيه مصطلحات الصوفية كالجوهر والمعني والصور وحقيقة الصفات، ومداواة المرضى بالمسح باليد، والسعي من قبل الناس إليه، والقرب والبعد... الخ.

وبهـــذا - وغـــيره مما سنذكره لاحقاً - يتأيد ما ذكرناه أنفاً من المنطلق الصوفي للبوصـــيري فـــي بـــردته، ولا حاجـــة لإثبات إنتمائه للصوفيه تاريخياً طالما ثبتت فنياً. ولتقارب توجه " النسج " مع " البردة " يمكن إجراء موازنة بينهما للتعرف على العلاقة الرابطة وبإمعان النظر نجد أن مهدي قد استقى أفكاراً عدة من " البردة " ومن ذلك هذه النماذج :

البوصيري : فاق النبيين في خَلق وفي خُلـــق ولم يدانوه في علمٍ ولا كـــــرم

مهـــدي : وأفضل الخلق في فضل وفي خلق عن بابه لم يرد من جاء أو يذم

* * *

البوصيري: محمد سيد الكونين والثقليـــن خير الفريقين من عرب ومن عجم

مهدي: محمد أحمد المحمـــود سيرتـــــه وصفوة الله بيـــن الخلق كلهـــــم

* * *

البوصيري: منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

مهـــــدي : هو العظيم بلا ند ولا مثـــل من أول الخلق حتى

آخر الأمـــم: فيه تجلى كمال الخلق مجتمعاً على كمال بكل الخلق منقســـــم

* * *

البوصيري : وكل آى أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهـــــم

مهدي : بشارة الرسل ميثاق الإلـــه على كل النبيين قد أدوه في قســـــم

* * *

البوصيري : فمبلغ العلم فيه أنه بشـــــر .....

مهـدي : فاق الملائك إلا أنه بشـر أجل عبد لحق الشكر مستقـم

* * *

البوصيري : فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهر من أنوارها للناس في الظلم

مهدي: ولو جمعت لميزات العظام بـدت كذرة من جزيء للعظيم نمـى

٢- البشـارات والكرامات والمعجزات ودلائل النبوة والموقف منها :

إحصـائياً يـتفوق باكثـير حـتى علىالبوصيري في عدد الأبيات التي تعرض فيها لمعجزات الرسول ﷺ والكرامات والبشارات :

باكثير	= ٣٦	بيـتاً
البردة	= ٢١	بيـتاً
جرادة	= ٣	أبيات
مهدي	= ٧	أبيات

غـير أن باكثـير يقع على طرف نقيض مع بعض أفكار البوصيري التي وردت في البردة، إذ نجد أن باكثير يحدد موقفاً رافضاً لاعتبار هذه الحوادث دليلاً على صدق النبوة فهي لا تناسب العصر، يقول عن النبي وهو يتهيأ لحمل الرسالة:(١٠١)

حيث استعد لفهم الحق معتمـداً على الأدلة لا بالخـرق للنظـم

فالخارقات إذا قام الدليل بهـا من قبل فهو بهذا العصر لم يقم

وهـو في سبيل فراره من الوقوع فيما نهى عنه يلجأ إلى التعبير الفني عن بشارات يوم مولده، فلا يأتي بالبشارات التي صاحبت مولده - كما عند البوصيري - في انطفاء نار فارس وتصدع إيوان كسرى.. أو انقطاع خبر السماء وانقضاض الشهب على الجن أو تظليل الغمامة... بل يضرب صفحاً ليسوق تلك البشارات بعيداً : (١٠٢)

واهتز أهل السماوات العلا طـربا بمنقذ الكـون ممـا فيه من أشـم

وغنت الحور: أصوات السـرور على مقاعد النور في قدسية النغـم

---

(101) الأبيات (١١٥ ، ١١٦) .

(102) الأبيات (٦٥ - ٦٨) .

ثم يذكر تسبيح الملائكة شكراً وإشراق الجنة وتفتح أبوابها، ولمزيد من الإمعان في الفرار من نهج البوصيري في سرد المعجزات والبشارات نراه ينصرف إلى إنجيل برنابا ليأتي منه بمعجزة هي تبشيره بالرسول ونفيه صلب المسيح (عليه السلام) ومن ثم يجد ضالته في مناقضة منهج البوصيري في سرد المعجزات والبشارات الآنفة الذكر ليقول: (١٠٣)

كهذه فليكن المعجزات فما غناء كشف العمى والبرء للسقم

بيد أن قواعده تلك لا تلبث أن تتهاوى، أمام نهج البردة الفني وضرورة التعرض في بنائها إلى المعجزات الواردة عن رسول الله فنجده يسرد منها : حادثة المعراج ونبع الماء من بين أصابعه، وهزم الجيش برمل من يده (يوم بدر) وحنين الجذع، والإخبار بالغيب عن مقاتل كفار قريش، والتكثير للشيء القليل، وحتى لا يلام على العودة بعد الإقلاع، والرجوع إلى ما نهى عنه، يبرر موقفه بأنه لم يسرد إلا ما صح إسناده إلى الرسول. (١٠٤)

ويلاحظ أنه لم يأت ولا بحادثة مما سرده البوصيري في بردته ربما بدافع إيهام القارئ أن ما سرده هو الصحيح وربما بدافع المكابرة بعد الإفصاح عن عدم الاحتذاء، ولكن كما وقع في احتذاء البناء الفني للبوصيري من خلال سرد الحوادث المعجزة وإن كانت مغايرة، وقع في المشابهة الكلية مع البوصيري في قول البوصيري : (١٠٥)

كفاك باليتم في الأمي معجزةً في الجاهلية والتأديب في اليتم

فنرى باكثير يقول : (١٠٦)

فتى يتيم فقير في البداوة ما جالت يداه على سفر ولا قلم

حتى إذا جاء بسن الأربعين أتى بمعجز زاخر بالعلم والحكم

---

(103) البيت (١٤٦) .

(104) البيت (١٥١) .

(105) البيت (١٣٩) .

(106) الأبيات (١٨٧ ، ١٨٩) .

فإذا نحينا جانباً هذا الجدل، والتفتنا إلى جرادة في " وحي البردة " لم نجد لديه غناء، وكأنه أجفل عن الحديث في هذا الموضوع، أو تردد بين شيخيه البوصيري وباكثير فآثر الفرار من التفصيل ومضى في التعميم : (١٠٧)

دلت عليه بشارات السماء وما في الكتب من صادق الأوصاف والسيم

لكن الموقف يختلف عند المهدي إذ يلج هذا المضمار ويباري فيه منتصراً لشيخه البوصيري يقول بعد سرده لمعجزات استمدها من ثلاثتهم : (١٠٨)

والقلب إن رد للرحمن واقعةً يهدى ومن لم يثب في تيهه يهم

والغيب ركن به القرآن ألزمنا وفي تواتر قول المصطفى العلم وهو بهذا يحسم موقفه بعيداً عن باكثير وباتجاه البوصيري، تاركاً جرادة في موقف التأمل المشدوه.

٧- معجزة القرآن :

منذ أن أصل البوصيري للحديث عن القرآن في بردته والشعراء يتناولون هذا الموضوع متابعين له، مقلين أو مكثرين، مقلدين او مبتدعين.

ويكاد صاحب نظام البردة أن يكون نسخة أصلية لصاحب البردة في عرضه للمعجزة القرآنية، إذ لا يكاد يخرج عن مضامين سابقه.

فحين يقول البوصيري : (١٠٩)

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جاءت ولم تدم

يقول باكثير : (١١٠)

المعجز الخالد الباقي بجدته إذ معجزات سوى المختار لم تدم

وإذا قال البوصيري : (١١١)

---

(107) البيت (١١٨) .

(108) البيت (١٤٢) .

(109) البيت (٩٣) .

(110) البيت (١٢٦) .

(111) البيت (٩٧) .

لها معان كموج البحر في مـــدد وفوق جوهره في الحسن والقيـــم

قال باكثير : [١١٢]

كالرعد يقصف،أو كالريح تعصف أو كالبحر يرجف في أمواجه البهم

ولئن قال البوصيري : [١١٣]

ردت بلاغتها دعوى معارضـــها رد الطيور يدَ الجاني عن الحـــرم

يجيبه باكثير : [١١٤]

من ذا يعارضه جهلاً وقد رجعت عن آية منـــه غلب القول بالبكـــم

يقول البوصيري : [١١٥]

لم تقترن بزمان وهي تخبرنـــــا عن المعـــاد وعـــن عاد وعن إرم

فيرد باكثير : [١١٦]

قص بالحق أخبار الذين مضوا من قوم نـــوح ومن عاد ومن إرم

وهكـــذا يلتـــئم الشمل بعد افتراق فيأخذ اللاحق عن السابق ولا ضير. وهو ما نجده لـــدى المهدي في نسجه حيث يأخذ من البوصيري خلود الكتاب [١١٧]، ويأخذ من باكثير مفهـــوم أن القـــرآن روح الله الـــذي تحيا به الأمة، ويأخذ من جرادة مفهوم أن القرآن يهدي العقل ويشرح الصدر. [١١٨]

---

(112) البيت (١٢٩) .

(113) البيت (٩٦) .

(114) البيت (١٣٠) .

(115) البيت (٩٢) .

(116) البيت (١٣٠) .

(117) باكثير: روح من الله أوحاه إلى رجل ..... (٢٠٦) .

مهدي : روح من الله أوحاه ليحيينا ..... (٥٨) .

(118) جرادة : فيض من الذكر ريّ العقل من ظمـــأ إلى الهدى وجلا للصدر من غمم (٧٩) مهدي:يهدي به الله للرضوان تابعه ويشرح الصدر يجلو الروح من غمم (٦١) .

ويكــون جــرادة بهذا أقلهم اتباعاً فلا نجد بين أبياته الست آية مشابهة أو أخذ من البوصيري إلا في البيت (٨٠) حيث نلحظ أخذه لفظ التلاوة :

تتلى مثانيه في المحراب واصلة بين المنيب وعطف العرش والرحم

فهي عند البوصيري : (١٠٠)

إن تتلها خيفةً من حر نــار لظى .....

الخـــاتمــة

بعد هذه الجولة في معارضات البردة في الشعر اليمني المعاصر يمكن استخلاص بعض النتائج لما يتعلق بعلاقة المعارضات الثلاث بالبردة البوصيرية وكذا تأثر المعارضات ببعضها ومن هذه النتائج :

- أخذ المعارضات من البردة بناءها الفني.
- وجد الباحث نقاط التقاء واختلاف بين المعارضات والبردة.
- وجد الباحث نقاط التقاء واختلاف بين المعارضات الثلاث. وتتوضح الصورة من خلال التفصيل التالي :

فيما يتعلق بالمبحث الأول وجد الباحث ما يلي :

- المطلع : ابتعد باكثير في مطلعه عن مطلع البردة واضطرب جرادة بين الأخذ من البردة أو الأخذ بمطلع باكثير، وظهر أخذ المهدي من المطالع الثلاثة السابقة له (البوصيري – باكثير – جرادة). وفيما يتعلق بالأخر المشارك في المطلع نجد هذا الآخر في المطالع الثلاثة فكما كان في البردة الآخر المشارك هو " المخاطب " كانت "النجمة" لدى باكثير و " البرق " لدى جرادة، والضمير الغائب (هو) لدى مهدي أمين، كما أن " المكان " غير موجود في المطالع الثلاثة. كما أن " الرمز المكاني " الشائع في مطلع البردة غاب في مطالع المعارضات الثلاث.
- المقدمة : وقد لاحظ الباحث تشتت المقدمات الثلاث وهو أثر من تشتت الأصل البوصيري الذي لم يتفق النقاد على إحالة مقدمته إلى نوع واحد من أنواع المقدمات وهكذا جاءت المقدمات المعارضة غير أن البوصيري تغلب بحسه الفني على ذلك الشتات فيما ظلت المعارضات حليفة التشتت الظاهر في مطالعها. كما لاحظنا

اختلاف المقدمات الثلاث فيما يتعلق بالغزل ففي الوقت الذي أجفل عنه باكثير ومهدي اقتحمه جراده ، وفيما يتعلق بالتقليد أو التجديد في مقدماتهم لاحظنا أيضاً الاضطراب الظاهر بين التقليد والتجديد فلا هم تركوا القديم ولا أدركوه، وجاءت نقلاتهم فيما يُعرف بحسن التخلص موفقه سواء فيما يتعلق بتوصلهم للفكرة الأساسية (المديح النبوي) أو في الانتقال من موضوع إلى آخر، وبالنسبة للخاتمة فقد وجدنا اقتراب نسج البردة من الأصل البوصري في عدد الأبيات حيث جاءت متوسطة بين اضطراد خاتمة باكثير واقتضاب خاتمة جرادة، ويقترب باكثير في خاتمته - أكثر من صاحبيه – من خاتمة البوصيري خاصة في البيتين الأخيرين، وثلاثتهم عايشوا واقع أمتهم في الختام، مما يدل على تأثر لاحقهم بسابقهم في هذا المضمار.

وفي المبحث الثاني المتعلق بأفكار المعارضات ومحتواها وعلاقتها بالبردة البوصيرية فقد وجدنا تبايناً في المدخل الذي ولج به كل منهم إلى مدحته والرؤية التي اصطبغت بها، فمدخل البوصيري صوفي وباكثير سياسي أما جرادة فمناسباتي احتفالي، بينما مال مهدي للتفسير الحركي للسيرة النبوية. وحول محاور الأفكار فقد احتذى مهدي نهج البوصيري فتمحورت بؤرة التمركز حول الرسول فيما توزعت دائرة التمحور لدى باكثير وجرادة حول أكثر من محور.

أما عن المحتوى فقد حدده المدخل، فحيث كان المدخل صوفياً في البردة فقد جاء المحتوى سرداً لرؤى وأفكار الصوفية في نظرتهم للرسول وفضله وصفاته وهكذا وجدنا الأمر في نسج البردة لمهدي أمين إذ لما كان مدخلها حركياً ومحورها " الرسول " فقد صبت محتوى أفكارها في سيرة الرسول وعرضتها من منظور حركي.

ويختلف محتوى أفكار " نظام البردة " لباكثير فقد تركزت حول محوري الرسول والإسلام ومثلها وحي البردة لجرادة التي أظهرت تأثراً واضحاً في هذا الشأن بباكثير. وبالنسبة لترتيب أحداث ووقائع السيرة : وجدنا غياب هذا الاحتفاء السردي أو الترتيب الزمني لأحداث السيرة عند البوصيري إذ شغله " وصف النبي " عن الاهتمام بسرد الأحداث والوقائع ومع احتذاء المهدي للبوصيري في التمحور حول الرسول إلا أنه بدلاً عن أخذ " وصف الرسول " اختار " سيرة الرسول " فسردها مرتبة من المولد حتى

الوفـاة فـيما أخذت السيرة لدى باكثير نزراً يسيراً من محتوى نظام البردة فيما اكتفت وحـي الـبردة بذكـر ثلاثة أحداث مناسباتية من سيرة النبي هي (المولد – المعراج – الهجـرة). وعلى المستوى الإحصائي لصفات الرسول التي وردت في المعارضات وجدنا أن باكثـير أورد " ٢٣ " صفة للرسول وجرادة أورد " ٩ " صفات أغلبها سمات موقفية وليسـت شخصـية. فيما نجد لدى المهدي " ٥٢ " صفة للرسول وبالرجوع إلى البردة الأصـل " ٤٥ " صـفة نجد أن المهدي أقرب من سابقيه إلى الاقتداء بالبوصيري. وفي موضـوع الكـرامات والمعجـزات تتباين مواقف المعارضات منها اقتراباً وابتعاداً عن الأصـل. فقد رأينا كيف أن باكثير في نظام البردة رفض اعتبار هذه الحوادث دليلاً على صدق النبوة، وأجفل جرادة في وحي البردة عن التعرض لهذا الموضوع مكتفياً بموقف المحـايد بيـن شيخ البردة وتلميذه، فيما ولج المهدي هذا المضمار غير هياب إذ حدد موقفـه بصـراحة منتصراً لشيخه البوصيري وبعيداً عن باكثير. ويظهر أثر البوصيري جلـياً فـي احتواء المعارضات الثلاث على الحديث عن " معجزة القرآن " فتكاد كلها أن تكـون تقليداً وتأسياً بالبوصيري في هذا الموضوع سواء في المعاني والدلالات أو في الألفاظ والتراكيب.

مـراجع البحـث

١- الأدب فـي اليمـن عصـر خـروج الأتراك : عبد الله الحبشـي، دار المناهل – بيـروت، ط١ / ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢- الأدب والثقافة في اليمن عبر العصور: محمد سعيد جرادة، ط ١٩٨٥ (د. ط).

٣- الأعمال الكاملة : محمد سعيد جرادة، ج ١، مطابع دار الهمداني – عدن ط ١٩٨٨م.

٤- اشراقات عن باكثير : د. عبد القـوي الحصيني، مركـز عبـادي للدراسات والنشـر، الطبعة الأولـى ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣م.

٥- بردة البوصيري ومعارضاتها في العصر الحديث : جابر عبد الرحمن سالم يحي. رسالة دكتوراه ١٩٧٨م-جامعة الأزهر.

٦- تاريخ المعارضات في الشعر العربي: د. محمد محمود قاسم نوفل، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان – بيروت، وعمان ط ١ / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٧- تاريخ اليمن الفكري : أحمد محمد الشامي ١ / ٣١٢ – ٣٢٢، منشورات العصر الحديث – بيروت، ط / ١٤٠٢هـ ١٩٨٧م.
٨- دراسات في التراث : عبد الله الحبشي، دار العودة – بيروت ط ١ / ١٩٧٧م .
٩- شرح الدامغة للهمداني، تحقيق محمد علي الأكوع، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، ط ١٩٧٨ م.
١٠- شعر البوصيري دراسة فنية: قرشي عباس دندراوي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٩٩٠ م.
١١- الشعر اليمني عبر العصور: د.عبد القوي الحصيني، مخطوط، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٢- الشعر في اليمن من (١٠٤٥ هـ - ١٢٨٩هـ) : طه أحمد أبو زيد، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر – كلية اللغة العربية.
١٣- الشعر اليمني من (٥٦٩ – ١٠٤٥ هـ) : أحمد حافظ الحكمي، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر كلية اللغة العربية – ١٤٠٣ / ١٩٨٣ رقم ١٩٠٦ .
١٤- الصورة الفنية في قصيدة المديح النبوي : مصطفى عبد العاطي غنيمي عبد الرحيم، رسالة دكتوراه عام ٢٠٠٢م – كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر .
١٥- العمدة: لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، دار الجيل– بيروت ط٥/١٤٠١ هـ.
١٦- قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي : د. السيد ابراهيم محمد، المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق، ط (١٤٠٦ / ١٩٨٦).
١٧- المدائح النبوية في العصر الحاضر وأثرها في الأدب : محمد محمود عبد الرحمن، رسالة ماجستير ١٩٦٧م – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر .
١٨- المدائح النبوية : محمود علي مكي – مكتبة لبنان لونجمان١٩٩١ م.
١٩- نسج البردة : مهدي أمين سامي، مطابع مؤسسة الجمهورية تعز، ط١ / ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٢٠- نسج البردة : مهدي أمين سامي، مكتبة السعيد تعز، ط ٢، القعدة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣م.

٢١- نظام البردة : علي أحمد باكثير، دار مصر للطباعة – القاهرة
٢٢- النقد الأدبي الحديث : د. محمد طاهر درويش، مكتبة الشباب، ط ١٩٧٧ .
٢٣- النقد الأدبي الحديث : د. عبد الرحمن شعيب، مطبعة التأليف بمصر، ط ١٩٦٨.
٢٤- نيل الوطر: من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر : محمد بن محمد زبارة، مركز الدراسات والبحوث اليمنية – صنعاء، ط١ / دار العودة – بيروت.